PDF Eraser Free

ضياء جبيلي

لا طواحين هواء في البصرة

قصص قصيرة

PDF Eraser Free

قصص قصيرة

لا طواحين هواء في البصرة

ضياء جبيلي

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى- سنة 2018

ISBN: 978-1-77322-622-4

لايسمح بإعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الالكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والنشر على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الكاتب.

دار سطور للنشر والتوزيع

بغداد شارع المتنبي مدخل جديد حسن باشا

هاتف: 07711002790 - 07700492567

Email: bal_alame@yahoo.com

PDF Eraser Free

ضياء جبيلي

قصص قصيرة

لا طواحين هواء في البصرة

سطور
للنشر والتوزيع

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

"آه، وما أهمية كل هذا ؟"

إيما بوفاري

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

لا توجد طواحين هواء في البصرة

أين أذهب بكل هذه الأوهام ؟

أقاتل من ؟

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

حروب

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

الطيران

لم يكن مبارك، الذي يحرس آلاف الدجاج في معمل للدواجن يقع في جنوب البصرة، يحلم بالطيران. لكنه طار مرتين، ليس على متن طائرة، أو بواسطة منطاد، أو مظلة، ولا حتى على جناحي مارد، أو بساط سحري، مثلما يحدث غالباً في حكايات ألف ليلة وليلة. كما أنه لم يكن من أنصار ابن فرناس الحالم بالرفرفة والأعالي، لعلمه أن أمراً كهذا سينتهي به يوماً إلى أن يصبح كومة من العظام المهشّمة على قارعة الطريق.

ببساطة، لقد طار مبارك على نحو لم يُخطط له مسبقاً، بطريقة أوكروباتية، دراماتيكية، وجنونية، لا تحدث إلا في الخيال، أو في حال كان المرء فاقداً عقله.

المرة الأولى التي طار فيها مبارك كانت أثناء انسحاب الجيش العراقي نهاية حرب الخليج الثانية عام 1991. طار لثوانٍ، لحظة قصف عجلة الإيفا التي كانت تقل، بالإضافة إليه، أكثر من أربعين جندياً هارباً من نيران الطائرات الأمريكية.

أُزهقت أرواح جميع الجنود، وتطايرت أوصالهم، إلا هو، نجا بأعجوبة. كُسر كتفه ورقبته، جراء ارتطامه بأرض سفوان الرملية. وعلى الرغم من أنها كانت مجرد ثوانٍ، إلا أن مبارك جنح إلى أقصى ما يمكنه من الدعابة والتهريج. فما أن استعاد وعيه، وبدأ بالتعافي من إصابته، حتى راح يروي لرفاقه وأقربائه عن رحلته تلك. طيرانه العجيب فوق الصحراء الرملية.

PDF Eraser Free

"صادفت الكثير من الطيور، وناورت صاروخ باتريوت كان في طريقه إلى اعتراض أحد الصواريخ أرض – أرض العراقية حتى أني لمحت من موقعي هناك، الجنرال شوراسكوف، وهو يوقع مع وزير الدفاع العراقي وثيقة الاستسلام !"

يقول مبارك، فيضحك الحضور، ويربّت أحدهم على كتفه، متناسياً أنه مصاب، فتزداد القهقهة، وتزداد معها نكات الجندي الطائر، خفة ومرح.

عندما اندلعت الحرب الثالثة، في عام 2003، كان عمر مبارك قد قارب الخمسين عاماً. أصبح يمشي مائلاً برأسه وكتفه نحو جهة اليسار، ونمت له حدبة بسبب الإصابة، ليستحق نتيجة ذلك راتباً تقاعدياً من الحكومة، لكنه كان راتباً ضئيلاً لا يكفي لإعالة أسرة متكونة من أحد عشر فرداً. فاضطر إلى العمل، كحارس، في معمل للدواجن يقع بالقرب من مسكنه، كان يقضي فيه أغلب وقته، تصم أذنيه قأقأة الدجاج المزعجة، وتزكم أنفه رائحة الذروق، ويهدده مرض انفلونزا الطيور، الذي يتفشى بين الدجاج بين فترة وأخرى. لكن مبارك لم يكن يعبأ بكل هذا، فقد خبر ظروفاً ومواقف صعبة، ليس أقلها خطورةً طيرانه، الذي تحول إلى أسطورة صغيرة يتفكه بها الناس.

لقد نجا من الحرب مرات عديدة، وعرك الرصاص والقنابل بأظفاره وأسنانه، فما بالك بعدوى تنقلها كائنات ضئيلة وبليدة كالدجاج ؟

"سأموت مثل طائر محلّق !"

يردد مبارك، لكن على سبيل الهزل لا الجد. مع أن هناك من تنبأ له بذلك، امرأة غجرية قرأت طالعه لأمه، حين كان صغيراً.

PDF Eraser Free

أثنـاء تلـك الحـرب، وفي واحـدة من ضرباتها العشـوائية، قصفت إحـدى الطائـرات الأمريكية معمـل الدواجن، وفرمت جميـع الدجاج فيه. وكما لو أن عليه أن يطير في كل حرب، بدأ السكان يتساءلون عما إذا طـار مبارك هذه المرة أيضاً. هرعوا إلى المعمل، فلم يجدوا سـوى الدمار الذي لحقه بشـكل بعث اليأس في نفوسـهم، اليأس مـن جدوى العثور على جثته، التي يبدو أنها هُرست مع الدجاج المسكين.

لكـن، وحدث هـذا فجأة، بينما هـم يلغطون بشـأنه، رأوه يخرج من تحـت الأنقـاض، وكان مضرجـاً بالدمـاء، ومغلفاً بالريـش من أخمص قدميه إلى رأسه.

كان يترنح يميناً ويساراً، فارداً ذراعيه كجناحين.

كان يطير.. يطير.

PDF Eraser Free

الملحه

ظـن الأطباء في البدايـة، أنه مصاب بداء الصدفية. قبل أن تكتشـف جدته، بالصدفة، أن ما يتسـاقط منه، كلما هرش موضعاً في جسـده، إنما هو ملح.

"إنه مالح !"

صاحت، بينما هي تتذوق شـيئاً، من القشرة البيضاء التي تطايرت في الهواء، عندما كانت تفلي شـعره. ثم دعت جميع أفراد الأسرة، إلى تذوق ذلك النثار.

"هل رأيتم ؟" كانت تقول، وسـط دهشـة ووجـوم العائلة:" ألم أقل لكم أنه مالح !"

أحـاط به أفراد الأسرة وعدد من الأقـارب، راحوا يبللون أصابعهم بلعابهـم، ويمررونهـا عـلى ذراعـه مـرة، وعـلى وجهـه مرة أخـرى، ثم يلعقونهـا. يحدق أحدهم في وجه الآخر بذهـول. وكما لو أن طعمه راق لهـم، أعـادوا الكرة، ليتأكـدوا إن كان ما جربوه منذ قليـل حقيقة أم من ألاعيـب الخيال. أخته الكبرى لم تصـدق، أصابها الغثيان، وعزت الأمر إلى اضطـراب جماعي في حاسـة التذوق. إحدى الخـالات عقبت عليها قائلة بنبرة توبيخ:

"إن كان ثمـة اضطـراب فهـو في عقلـك أنت يا بنـت. كل هذا الملح وتقولين اضطراباً ؟!"

عاماً بعد عام، كان جمال في طريقه، إلى أن يصبح كائناً ملحياً. لم يزعج

PDF Eraser Free
ذلك أهله. حتى أن أمه لم تعد تشتري الملح. إذ كان يوفر هو ها ما تحتاجه من الملح الجيد، أثناء الطهو. وما يفيض عن الحاجة، تعطيه للجيران.

وباستثناء هذه الحالة النادرة، لم يكن جمال يعاني من أي مشكلة صحية، بل على العكس كانت مناعته ضد الأمراض تزداد، كلما ازداد انتاج جسده من الملح، خصوصاً في فصل الصيف، عندما تفرز مساماته كميات كبيرة من العرق، الذي سرعان ما يتحول إلى طبقات ملحية تطفو على جلده، فتقوم أمه بكشطها فور استيقاظه من النوم صباحاً، لتملأ منها ما يعادل كيلو غرام من الملح الخالي من الشوائب. لم تعد هذه الظاهرة تسبب له الضيق. لقد تكيف مع وضعه الاستثنائي منذ الصغر، واعتاد على تسمية الناس له بجمال المالح أو الأملح. طالما كان بعيداً عن الحسد، فلا أحد يتمنى أن يولد له ابن، يحتوي على هذه النسبة الهائلة من الملوحة. عماته تمنينَ لو أنه يدر بدل الملح نشارة الذهب، وخالاته فضّلن الألماز.

"لكن.. ملح ؟!" قالت إحداهنّ بنبرة عبرت عن خيبة أملها:" وهل هناك أرخص من الملح ؟!»

"التراب !" أجابتها الأخرى.

"ينقصنا ولد ينفض الغبار لنصاب بالربو !"

بدأ الأولاد في المدرسة يزعجونه، ويناكفونه متى ما كان هناك مناسبة لجعله عرضة للسخرية.

"تنقصك بعض التوابل يا ولد حتى نودعك الفرن !"

ولم يكن هو ليسكت عن مشاكساتهم، فيأخذ شيئاً من ملحه ويذره

PDF Eraser Free

في أعينهم. ودائماً ما تفحمهم ردوده:

"على الأقل، الملح أفضل من القمل الذي يعشش في رؤوسكم ويأكل آباطكم !"

كان لحياة العائلة طعم في تلك الأيام. حتى اندلعت الحرب في عام 1980. وسيق جمال ليختفي بين رحاها، في بقعة ملعونة من أرض البصرة، يعرفها الجنود، تُدعى المملحة، تقع غرب مدينة الفاو، أقصى الجنوب العراقي، حيث دارت هناك أكثر المعارك دموية.

بعض الناجين من الحرب، قالوا أنه قُتل، لكنهم لم يعثروا على جثته. والبعض الآخر قالوا أن الإيرانيين أسروه، إلا أن شيئاً منه، رسالة أو برقية، لم يصل إلى ذويه. انتهت الحرب، وملّ الجميع من الانتظار. وبين قيل وقال، على مر السنين، ضاع كل أثر لجمال، حتى تحول في النهاية إلى مثلٍ يضربه الناس كناية عن الضياع، الاختفاء، والتلاشي إلى الأبد.

وحدها أمه، التي لم يعد لحياتها ولا لطبيخها من طعم، قضت البقية من حياتها بالتردد على مقر منظمة الصليب الأحمر في البصرة، لتستعلم منهم مصير ابنها الذي، كما لو أنه من الملح جاء وإليه عاد، لم يعثروا له على رفات في تلك الأصقاع الملحية. كانت تقضي نهارها هناك، تسأل الرائح والغادي عن جمال، وتلوّح للمارة بصورته، مرددة عبارتها الشهيرة:

"ابني جمال... فص ملح وذاب !"

PDF Eraser Free

دورة الألعاب البذيئة

كثيراً ما يتجشـأ خضوري. أصبح الأمر خارج سيطرته، منذ أن كان طفـلاً، يمص إبهامه ويعضعض أصابع قدميه، ويطلق ريحاً لم تنفع معها أشربـة النفخة والتفخـة والكنداغ. فـما أن يتذوق شـيئاً، وإن يكن ماء، حتى يبدأ بالتجشـؤ، ويطلق الريح من معدته عبر فمه بصوت أقرب إلى خوار الثور. الأمر الذي طالما أشعره بالإحراج.

وكان خضـوري قـد اعتـاد عـلى التعريف بالـشيء الـذي يتذوقه أو يأكلـه، بعد كل مرأة يتجشـأ فيهـا. فهو عندما يأكل دجاجاً فإنه يتجشـأ ويقول بعدها دجاج. وعندما يأكل سـمكاً يتجشأ ويقول زفرة ! وهكذا هـو الحال مع باقـي المأكولات، أو أمور الحياة والحـوادث التي يتعرض لها.

وقد يحصل أن يعطي خضوري فكرة مغايرة عن الشيء الذي يتذوقه أو يحدث له، تعبّر عن اشـمئزازه أو تلذذه. فحينما اختفى في أحد الأيام، ثـم ظهـر فجأة وكان في حـال يرثى لها، وسُـئل أين كان ؟ أطلق جشـأة طويلة ومريرة ثم قال بعدها: خراء ! فعلموا في حينها أنه كان في السجن.

وعندما تجشأ وقال: دمار ! علموا أه تزوج.

وعندما تجشأ وقال: سخام ! علموا أنه سيق إلى الحرب. هناك حيث سمع في الثكنة التي انتهى إليها، على مقربة من الحدود، أن بعض الجنود ينظمون دورة سرية للألعاب البذيئة.

وفضـلاً عـن سـباق التجشـؤ، كان هناك سـباقات تنافسـية أخرى،

PDF Eraser Free

مثل سباق سرعة الاستمناء، وأقوى صوت ريح، وأطول رشقة بول وبصقة. إلا أن أكثر الجنود اشتركوا في سباق الاستمناء، طمعاً في تصفح مجلات العري التي جُلبت خصيصاً لتحفيز رغبات المشاركين.

أما في سباق التجشؤ، فقد تنافس مع خضوري ثلاثة جنود. وقد افتتح الأول السباق بجشأة قوية، وعرّف بعدها بالشيء الذي أكله قائلاً: كراث ! وتجشأ الجندي الثاني وقال: فاصوليا ! ثم تجشأ الجندي الثالث وقال: بسطال ! وعندما جاء دور خضوري ليتجشأ، ولم يكن قد دخل معدته شيئاً حتى تلك اللحظة، وقد حدث ذلك فجأة ومن دون سابق، سقطت قنبلة وسط الجنود في ساحة العرضات، وانتشر دخان كثيف، ولم يعد يُسمع لأحد صوتاً، وليس ثمة أنّة لجريح، عدا خطوات خضوري الذي نهض من بين الأشلاء، وراح يجرجر بقدميه مترنحاً، والدخان يتصاعد من جسده الممزق، حتى جثا على ركبتيه، وتجشأ للمرة الأخيرة، صائحاً بمرارة: موووت !

PDF Eraser Free

بالإضافة إلى يديه، فقد وسام عائلته بالكامل، بسبب صاروخ كروز أُطلـق من إحدى حامـلات الطائرات الأمريكية في حـرب الخليج عام 1991، وسـقط عـلى منزلهم الكائـن في مدينة البصرة. كان عمره سـتة أشـهر وقتذاك، ولم تـزل صورته وهو على هذا الحـال، جريحاً ومن دون يدين، تمـلأ الصحف والقنـوات التلفازية، حتى قررت عائلة اسـترالية تبنيه.

وهكـذا، تـم نقـل وسـام عـن طريـق منظمـة الصليـب الأحمـر إلى ملبـورن، وصار بمعية تلـك العائلة في غضون شـهر. ترعرع في كنفها، أسـموه مـارك وأُحاطوه بكل أشـكال الرعاية والعطف. تعلّم، في سـن الخامسة، الكتابة بقدمه اليمنى وأجادها بمرور الوقت، إلى الحد الذي لم يكـن يواجه فيه صعوبة في أداء فروضه المدرسـية، في المراحل الأولى من دراسـته. ثم بدأ باسـتخدام الكومبيوتر، وأتقن الرسـم بكلتي قدميه في النهاية. كان ولداً ذكياً متعدد المواهب، لم تثنه إعاقته عن ممارسة هواياته المفضلة، ككرة القدم، والرسـم، القـراءة، الكتابة، إذ اعتاد الضرب على أزرار الكيبـورد بأصابع قدميه، ليكتب قصصـه وخواطره الأدبية. كان مثلـه الأعـلى، أثناء ذلك، الكاتب الايرلندي كريسـتي براون، الذي قرأ روايته ساقي اليسرى وتأثر بها، عندما أهداه إياها والده بالتبني، في عيد ميلاده العاشر. شاهد بعدها الفيلم الذي يروي قصة حياته، ومنذ ذلك اليوم وهو يمنّي نفسه بكتابة قصته أيضاً. كان مغرماً بدانيال دي لويس، الذي أدى دور كريسـتي بمنتهى التقانة. في حين كان يرى أمه بالتبني في

PDF Eraser Free

بريدجت براون الأم التي مثلت دورها بريندا فيكر.

بلغ وسام الثالثة عشرة، وكل ظنه، طيلة الأعوام الماضية، أنه استرالي، وأنه فقد يديه في حادث سير كما أُخبر. الأمر الذي أرّق عائلته بالتبني، فقررت في إثره إخباره بالحقيقة، قبل أن يعلمها هو بنفسه، من خلال مشاهدة أحد التقارير المصورة عنه، منذ ثلاثة عشر عاماً، أو ربما يجد في النهاية من يخبره بذلك، من زملائه في المدرسة.

حدث ذلك تحديداً عشية الهجوم الأمريكي على العراق عام 2003، بحضور أحد الأطباء النفسيين. وقد تولت والدته مهمة إخباره، في وقت كان البقية من أفراد العائلة الاسترالية يحيطون به ويترقبون ردة فعله، وكيف سيستقبل خبراً كهذا. تزاحمت الأفكار في رأس كل واحد منهم، هذا يتوقع أن يجهش بالبكاء، وذاك يتوقع انهياره، وآخر يتخيله وهو غاضب ويلقي باللائمة على أبويه، لأنهما تأخرا في كشف حقيقة أنه أبن متبنى.

إلا أن شيئاً من ذلك لم يحدث، وكما لو أنه كان يعلم بكل ما اجتهدت الأم من أجل تبسيطه، لتخفف بذلك من أثر الصدمة المحتملة، التي قد يتعرض لها، بدا الفتى هادئاً، ولم تظهر عليه أي إشارة تدل على ذهوله أو اندهاشه المرّ، أو حتى شعوره بالخيبة. كان ينظر حوله، ويعلّق نظراته في وجوههم، كأنه يقول: لا تكترثوا أبداً، فهذه المرأة التي تجلس إلى جانبي هي أمي، وهذا الرجل الجالس إلى يميني هو أبي، وتلك هي أختي المشاكسة، وذاك الصبي الذي يجلس إلى جوارها هو أخي، وهذا البيت بيتي، واستراليا بلدي. لكنه لم ينطق بحرف واحد من كل هذا، ورغم ذلك أحس الجميع بالاسترخاء. إذ، وعلى ما يظهر، أن وسام

PDF Eraser Free

اجتـاز المحنة. فهو، كما يعلمون، ولد ذكي، هادئ، لم يكن طائشـا يوماً، وها هو الآن يتجرع مرارة الحقيقة بروح رياضية.

بعد ذلـك، أخرج الطبيب خارطة العالم، ووضعها أمام وسـام، على الطاولـة في غرفـة المعيشـة. ثم طلـب منه تحديـد موقع العـراق في تلك الخارطـة، متناسـياً أن الصبـي مـن دون يديـن يمكنانه من الإشـارة إلى الأشياء. وبينما كان الطبيب يحاول التخفيف من الـتأثير الواضح لكبوته على الجميع، كان وسـام قد انحنى على الخارطة، ليشـير بشفتيه إلى موقع العراق فيها.

كان لقبلته، حينئذ، صوتاً يشبه كثيراً صوت من التقم حلمة ثدي أمه للمرة الأولى.

PDF Eraser Free

الفزاعة

بالتزامن مع وقف إطلاق النار، بين العراق وإيران، عام 1988، اكتشف فصيل من المشاة أنهم في حقل ألغام. عرفوا ذلك من حكيم، وهو جندي أول، داس على أحد تلك الألغام.

أصيبوا بالذعر، لكنهم لم يتركوه وحيداً، خلال نصف النهار الأول على الأقل. إذ بدأوا بعدها بالانسحاب، واحداً في إثر الآخر، بداعي جلب المساعدة. وكان كلما غادر أحدهم لا يعود.

بقي الجندي أول حكيم وحيداً. لم يتحرك من مكانه أبداً، خشية أن ينفجر اللغم، ويبتر له ساقه، في أقل التقديرات. هذا إن لم يحيله إلى أشلاء.

بمرور الوقت، وبعد أن أُعلن عن انتهاء الحرب رسمياً، وتم تحديد المنطقة، التي وجد نفسه نابتاً فيها، بالأسلاك الشائكة، والعلامات التحذيرية من وجود حقل ألغام، وعودة المزارعين إلى حقولهم، التي عمّروها، وزرعوها بأصناف المزروعات، حتى أصبحت خضراء. بعد هذا كله، صار الجندي أول حكيم يُعرف، بين فزاعات الحقول المجاورة، بفزاعة حقل الألغام.

إذ رأته تلك الفزاعات، وهو يطرد الغربان والعقبان، لكي لا تطول بمناقيرها عظام أفراد الفصيل المتناثرة في الحقل منذ سنوات، أولئك الذين غادروا ولم يعد أحد منهم.

PDF Eraser Free

طعم الموت

عندما عاد عطوان إلى مسـقط رأسـه، في شبه جزيرة الفاو، في الجنوب الشرقي من البصرة، بعد الحرب العراقية الإيرانية بسنتين، وجد أرضه قد تحولت إلى سباخ ملحية.

كان الملـح يغطـي كل شـبر من تلـك الأرض. ولا أثـر للنخيل الذي كان يظلل بسـعفه مسـاحات واسـعة مزروعة بالحناء. تمالكه الحزن، بينما هـو ينقـل بصره في أنحـاء أرضه الخربـة. تذكـر طفولته وصباه وشـبابه، حيـث ترعرع في هذه البقعة، وقضى أجمل سـنوات حياته، قبل أن تتحول إلى سـاحة للمعارك الشرسـة والوحشـية خلال الحرب، التي سـقط فيها عـشرات الآلاف من الجنود العراقيين والإيرانيين، وكانت ما تزال ميدان اشـتغال منظمـة الصليب الأحمر التـي يبحث أفرادها تحـت الأرض عن رفـات الجنـود المفقودين من كلا الطرفـين، إلا أن ثمة ما يعيق عملها على الـدوام، وهي تلـك الألغام التي عجزت الحكومة عـن رفعها حتى ذلك الوقت. وها هي الآن قد استحالت إلى أرض بور، جرداء، لا حياة فيها.

فجأة، وكما لو أن ثمة من أوحى له بذلك، قرر عطوان إحياء الأرض.

***

لم تمـضِ سـوى أيـام قلائل، حتـى باشر عطـوان عمله، يسـاعده على ذلك أولاده الخمسة. عمل الجميع بهمة ونشاط. كشطوا الملح عن سطح الأرض، ثم حرثوها، ثم قاموا بتنقية التربة وقلبها وتسميدها، ثم شرعوا بنثر البذور، وثبّتوا فزاعات مليئة بالتبن وألبسـوها ثياب الموتى التي عادة

PDF Eraser Free

ما تُرمى في الانهار الجافة، ووقفوا هناك يتحيلون ازدهار الأرض بأصناف معينة من الخضراوات، طماطم، خيار، بطاطا، سبانخ، لوبيا، سلق. لم يتبق سوى مرحلة السقي، وأما هذه فقد فكر عطوان بجلب المياه العذبة بواسطة مركبات حوضية كبيرة. الأمر الذي لم يكن مستحيلاً بقدر ما كان مكلفاً، لكن إرادة الفلاح البصري، الذي ناهز الستين من العمر، كانت أقوى من أن تنتكس بسهولة. وبالفعل، اتجهت في اليوم التالي خمس عشرة سيارة حوضية مليئة بالمياه العذبة إلى الأرض، وقام الجميع بالإشراف على سقيها حتى فاضت وارتوت وكادت أن تنطق بذلك.

بعد أن انتهى كل ذلك، وقف عطوان على أرضه متخصّراً، يتأمل ما تم إنجازه. تخيّل الأرض وقد تحولت إلى بستان أخضر كما كانت في الماضي، مليء بالخضر والفاكهة والمحاصيل الزراعية. انفرجت أساريره، وعاد إليه الأمل، وشعر بالارتياح، فها هي أحلامه تتحقق، وما هي إلا عدة أشهر حتى يجني ثمار تعبه.

إلا أن ثمة ما طرأ ولم يكن في الحسبان.

ففي غروب أحد تلك الأيام، التي أعقبت نهاراً من السقي بالمياه العذبة، نهض فصيل من الجنود المدفونين تحت الأرض، منذ الحرب، وهموا بالمغادرة. أجفل الفلاح البصري وأحس بالذنب يأكل قلبه، كما لو أنه طردهم من بيته وليس من أرضه. وضع يديه فوق رأسه وراح يولول وسط دهشة وذهول أولاده. ركض في إثر الجنود حتى لحق بهم. كانوا أربعة عشر جندياً مثقلين بالأوحال وتراكم الزمن. لم يتعرف على هويتهم، ولم يكن ذلك همه. استوقفهم وراح يتوسلهم بالعودة إلى أرضه.

"عفواً أيها الجنود» قال لهم:" لم أقصد إزعاجكم، ولو كنت أعلم أنكم

PDF Eraser Free
تسكنون باطن هذه الأرض، لما تجرأت على ايقاظكم !

"لا تحـاول يـا شـيخ" قال أحدهم وهـو يعيد فص عينـه اليمنى الذي انزلق من محجرها فجأة:" ليس لنا مكان في هذه الأرض بعد الآن"

"لماذا ؟" سأله الفلاح البصري بتوسل:" أين تريدون الذهاب ؟"

"إلى مـكان آخر" أجابه جندي آخـر بينما هو ينتزع رصاصة صدئة من رأسه:" مكان يتوفر فيه الملح على نحو كافٍ"

"ملـح ؟!" صـاح الفلاح كـما لو أنه أصيـب بصعقة:" ومـا حاجتكم للملح ؟"

كان الأبنـاء الخمسـة يسـمعون هذا الحـوار المثير بـين والدهم الفلاح البـصري المذعـور وفصيـل الجنود القتلى، وقـد فغروا أفواههم من شـدة العجب.

"هـل أنت غشـيم يا شـيخ، أم أنك تتغابـى ؟" قال أحـد الجنود وهو يبصق شظية كانت مستقرة في حلقه.

"أنا أقول لك لماذا سـنغادر أرضك" قـال الجندي الآخر وهو يعيد احشـاءه المتيبسـة من خلل الشـق الذي أحدثته قنبلة في بطنه:" بعد أن كشطت الملح عن سطح هذه الأرض، وبعد كل هذه الكميات الكبيرة مـن المياه العذبـة التي غمرتم بها عظامنا، أحسسـنا أن موتنـا لم يعد له طعم !"" نعم أيها الشيخ"

أكـد أحد الجنود الأربعة عشر بصـوت مبحوح، وهو يعالج تفاحة آدم في نحره كي لا تقع:" بسببك أنت لم يعد لموتنا طعم أبداً !"

وغادروا.

PDF Eraser Free

إرث

يمكنني تصوّر إلى أيّ حدٍ سيكون الأمر محزناً وصادماً، حين لا ترد امرأة على رسائل ابنها الأسير. لكني أعرف، على أية حال، أن أمي لا تعرف القراءة والكتابة. لذا لم أحزن ولم أُصدم. رغم أنها تستطيع الاستعانة بأحد ما، جار أو قريب أو غريب أو حتى أحد المارة الذين يمرقون من أمام بيتنا كل يوم، في الوقت الذي تجلس هي عند عتبة الباب، تنتظرني هناك لعلّي أعود. فيقرأ لها رسالتي، وبعد أن ينتهي تملي عليه الرد فيكتبه في ورقة تودعها هي بدورها في صندوق منظمة الصليب الأحمر، لتجد طريقها إليّ.

لكنها لم تفعل. ولم أحزن أيضاً ولم أُصدم.

مرت السنوات بطيئة ومتثاقلة، كنت أكتب خلالها بشكل دوري، كل شهر رسالة، أشفعها بكلمات الحب، وشوقي للعودة واحتضانها من جديد، بعد غياب طويل. واظبت على ذلك فترة طويلة، رغم علمي أن رداً منها لن يصلني في النهاية. وذلك يعني إنها إما ميتة، أو لا تجد من يكتب لها الردود، وأغلب الظن إنها ميتة. أنا ابنها الوحيد، وكنت أخشى إرسال أي شيء إلى أحد أقاربي، خشية أن يبلغني أحدهم بالخبر المفجع: ماتت أمك ! عندئذ، سيحزنني الأمر كثيراً، أكثر بأضعاف مما لو حدث، وكنتُ إلى جوارها في مثواها الأخير. على الأقل، سيريح ذلك روحها.

بعد ثلاثة عشر عاماً، أُطلق سراحنا وعدنا إلى الوطن. كان الطريق إلى هناك طويلاً ومضجراً. البعض راح يغني بصوت خافت، واستغرق

PDF Eraser Free

البعـض الآخـر في النـوم، وهناك مـن أهى نظـره بالتحديق في مشـاهد الجبـال والحقول على جانـب الطريق. تمنيـت لو أقتل الوقـت بالقراءة، كما كنت أفعل قبل الأسر، أثناء سـفراتي الطويلـة. لكني، ولعدم وجود كتـاب إلهـي بي نفـسي، انشـغلت في التفكير بما سـيؤول إليـه الحال بعد عـودتي. فجـأة، وجدتنـي أتخيـل وجـه أمي وهي تـراني لأول مـرة منذ سـنوات طويلة، تتفقـدني وتبحث عن أثر الرصـاص في صدري. لا بد أنهـا كبرت في السـن الآن، وزاد الانتظار تجاعيدهـا. للحظة، خلت أني شممت رائحتها، رائحة المسك التي تتعطر بها دائماً، وتظل عالقة بي كلما احتضنتنـي قبل خروجي. تذكرت المرة الأخـيرة، عندما غادرت المنزل لألتحق بوحدتي العسكرية. لن أنسى أبداً دفء يديها على صدري، بينما هي تتمتم بالأدعية والآيات.

عندمـا وصلـت إلى البيت لم أجد أمي. قيل لي أنهـا ماتت، لكن ليس قبل سنوات كما كنت أظن، إنما قبل أشهر قليلة. لم تترك سوى حزمة من رسائلي في الخزانة، التي هرعت إليها، ورحت أفتش بين ثيابها وشالاتها، التي شـغلتني رائحتها، فجلسـت أشـمها وأنا أنشـج مثـل طفل ضائع ويتيـم. عدت بعدها للبحث عن تلك الرسـائل حتـى وجدتها، وكانت ملفوفـة بقطعـة قماش خضراء كـما يُفعل بمصحف، مـا أن فتحتها حتى فاحـت منها رائحـة التفاح، فتخيلت عدد المرات التي مسـحت بها أمي الشـبابيك الذهبية لأضرحة الأولياء. أخرجت الرسـائل من المظاريف واحدة تلو أخرى. وكان بوسعي أن أحزن هذه المرة وأُصدم.

لم تفهم أمي رسائلي يوماً.

PDF Eraser Free

ليس لأنها لا تعرف القراءة والكتابة فحسب، إنما هي عادتي السيئة في البكاء كلما كتبت لها رسالة. أو هي تلك القدرة الفائقة التي امتلكها دموعي لتشويه الكلمات، وتضخيمها ودفعها لأن تكون آثاراً لدموع متفجرة وبقعاً خالية من أي معنى.

PDF Eraser Free

مقبرة

كان نصير يترك وراءه أثراً يدل عليه.

كان عارياً، ممزقاً، حين وجده الموتى ملقى على قبر كبير في مدفن العالم. وهو منذ ذلك اليوم، ما أن يجلس في مكانٍ أو يمر به حتى يكون بإمكان المرء أن يلحظ التراب الذي يخلفه. تراب رطب محمّر وحزين نغّص على الأموات موتهم.

كانت ظاهرة غريبة لم تحصل من قبل في عالم الموتى، الذين لا يجلبون معهم من الحياة سوى الأكفان، إلا نصير الذي ما زال يُترب أماكن ما وراء العدم. الأمر الذي لم يجد الموتى إزاءه سوى استجوابه وسؤاله عن عمله في الدنيا ومن أين له بكل هذا التراب.

عندئذ، قال لهم وعبرة مريرة تكاد تخنقه:

"كنتُ جندياً وهذا تراب الوطن !"

PDF Eraser Free

الضفدع

اعتاد علوان أن يحشر أنفه في ما لا يعنيه.

فبينما هو يبحث عن حاجته في إحدى العارضات، في السوبر ماركت، رأى بالصدفة لحوماً غريبة مجمدة، ومغلفة بعناية، ومخبأة تحت أفخاذ الدجاج المكدسة هناك، وعرف فيما بعد أنها ضفادع.

سجّل علوان شكوى في دائرة الرقابة الصحية. وفعلاً، عثروا على كميات من تلك اللحوم. لكنه فوجئ أن المفرزة الصحية لم تصادر ذلك النوع المقزز من اللحوم. وحينما سأل عن السبب، قيل له أنها مرخصة، ومعروضة للبيع، بالإضافة إلى لحوم الأخطبوطات والقروش الصغيرة، والسلاحف، للعاملين الصينيين والفلبينيين في حقول النفط المتاخمة للحدود. وعلى الرغم من ذلك، كان على صاحب السوبر ماركت أن يدفع غرامة مالية، بسبب سوء التخزين.

في طريق عودته إلى البيت، شاهد علوان بعض الصبية وهم يعبثون بالضفادع، ويتراشقون بها فيما بينهم. حينئذ، نبتت في رأسه فكرة.

"سأبيع الضفادع الطازجة" قال وهو يحدث طقة احتفائية بإبهامه والأصبع الوسطى:" لا بد أنها تجارة رابحة"

حمل في اليوم التالي" شص" وعدداً من الديدان، الى أحد الأنهار المهملة، الآسنة، المتفرعة من شط العرب، حيث تكثر الضفادع هناك. اصطاد منها الكثير. وراح يقطعها ويغلفها، بمساعدة زوجته التي انقادت لمشروعه التجاري هذا، إذ وعدها بنسبة محترمة من الأرباح،

PDF Eraser Free
التـي فاقـت التوقعـات، بعد بيعه الوجبـة الأولى من تلـك الضفادع إلى الصينيين والفلبينيين العاملين في حقل مجنون النفطي.

اسـتمر علوان في عمله المربح هذا، حتى جاء يوم لم يصطد فيه سوى ضفدع واحد. ورغم ذلك، ألقى سنارته في مياه النهر الراكدة، على أمل اصطيـاد ضفدع آخر. وقد حالفـه الحظ في ذلك، عندما اصطاد ضفدعاً بشريـاً هائلاً، ما زال مختبئـاً تحت الطحالب هناك، منـذ الحرب العراقية الإيرانية.

"من أنت ؟ عراقي أم إيراني ؟" قال الضفدع البشري، بينما هو يلتفت حولـه في كل الجهـات، وقد ظلل عينيه بكفه المليئـة بالطحالب والثآليل ليكف عنهما شمس الظهيرة القائظة:

"هل انتهت الحرب ؟"

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

حب

PDF Eraser Free

حساب
PDF Eraser Free

رائحة القميص

كان يحلم بعباءتها، وعندما اهدتها له، أراد أن يعطيها شيئاً للذكرى. فطلبت منه قميصه:

"لا أحلم بأكثر منه وفيه رائحتك !"

فخلعه وناولها إياه.

"هذا القميص كالحلم، خبئيه جيداً" قال وهو يغمزها، وثمة ابتسامة ارتسمت على شفتيه قبل أن يغادر:" قد يطير !»

في المساء، جلست تفكر في ما قاله. بدا كأنه يمزح، أو هكذا ظنت هي في البداية، وإلا ما الذي يجعل القمصان تطير ؟ ومع ذلك، وكما لو أنها بدأت تأخذ كلامه على محمل الجد، قالت وهي تعض شفتها السفلى:

"الريح !"

نعم، الريح تجرف كل شيء. فكرت باستعمال قرّاصات الثياب لتثبيت القميص على حبل الغسيل، إذا ما فكرت غداً بغسله. وهكذا، لن تطيّره الريح. لكنها لن تغسله على أية حال، حفاظاً على رائحته.

لم يكن من السهولة على امرأة الاحتفاظ بقميص حبيبها في البيت، فراحت تبحث عن مكان آمن، لتخفيه. لن تفكر بالخزانة طبعاً، ولا بالشماعة، ولا بالصناديق، أو الدواليب، أو الأدراج. كما أنها لن تفكر بارتدائه، إذ سيجذب ذلك انتباه الآخرين في المنزل، خصوصاً في الصيف، عندما لن يكون بمقدورها ارتداء المعاطف والبلوزات، بغية

PDF Eraser Free

إخفائه عن الأنظار.

فجـأة، التمعت فكرة في رأسـها. فلكـي تخبئه جيـداً، وتحافظ عليه، وتبعده عن خطر الطيران، وتبقي رائحته قريبة منه، نزعت عن الوسادة التي تنام عليها جيبها وألبستها القميص، ثم أعادت الجيب. إلا أن شيئاً ما كان يحدث، وظل غامضاً طيلة تلك الليلة، لكنها لم تعبأ به، فقد نامت وملء أنفها رائحة القميص.

عندما اسـتفاقت في صباح اليوم التالي، لم تجد شيئاً تحت رأسها، فقط جيب الوسادة.

"طار القميص !"

صاحت، وقد أدركت خطأها، إذ كان عليها الأخذ بنظر الاعتبار أن الوسادة محشوة بالريش.

حساب
PDF Eraser Free

ابتسامات

أكثر ما أحبته ليلى في وجهه تلكما الغمازتين الهلاليتين اللتين خطهما الزمن على مر الأعوام، حتى بدتا مثل اخدودين على جانبي فمه، وتحديداً عندما يبتسم لها.

كانت تفعل أي شيء من شأنه إظهار ابتسامته المقوّسة، المشعة. تضحكه عمداً، تدغدغه، أو تروي له النكات. أو، على الأقل، تبتسم له، لعلمها أن أكثر ما يسعده هو رؤيتها مبتسمة. لقد حفظت ليلى ابتسامته كما يحفظ العشاق قصيدة حب. كانت ترسمها، وبما أنها شاعرة أيضاً، كانت تتغزل بها، ودائماً ما تكون هي أول ما تستعيده لحظة استيقاظها من النوم.

إلا أن قيس، راعي الأغنام وصانع الأشعار العذرية، حاك مصيره بنفسه في نهاية القصة. فقد كان يعلم أن ليلى لن تكون له. فقرر الاختفاء وتركها لحياتها. لكنه لن يفعل ذلك ما لم يعثر على طريقة تذكرها به إلى الأبد. فكر في أشياء كثيرة، ولم يجد في النهاية، أحبّ إلى ليلاه من ابتسامته. وعلى الفور، خطرت له فكرة، مضى في تنفيذها في اليوم نفسه.

***

مضت فترة ليست بالقصيرة، وليلى تفتقد قيساً، الذي اختفى ولم يعد له من أثر في الجوار، حيث اعتادت مواعدته، عند أحد الأنهر، كلما ذهبت لشطف غسيلها. كان يرسل لحناً معيناً من نايه، لا يعرفه سواها، فتغافل رفيقاتها وتقصد بركة مجاورة تحيطها الأدغال. تجده بانتظارها،

PDF Eraser Free
يجلس على صخرة، ويرسل لها ابتسامته المقوسة. يتسامران معاً لبعض الوقت، يضحكان، ويشبكان يداً بيد. لكن سرعان ما تخيم عليهما الكآبة، بعد حوار يتكرر في كل مرة:

"تعالي معي"

لن أقدر، سيلحقون بنا !"

«سأحميك !

"لن تستطيع !"

إلا أن قيساً لم يكن متواجداً ضحى ذلك اليوم. كما لم يكن ثمة أثر لأغنامه. بدا المكان موحشاً من دونه، ساكناً، غريباً، كأنما انعدمت الحياة فيه. حتى البركة كانت جافة، والقصب حولها في طريقه إلى الجفاف.

قفلت ليلى عائدة إلى رفيقاتها، على ضفة النهر. بيد أنها لم تكف عن التردد على مكان لقائهما طيلة الأشهر اللاحقة. وفي كل مرة تعود من هناك إلى ديارها، لا تكون رائحته عالقة بيديها، كما كانت في الأيام الخوالي. ولما لم يكن بوسع اليأس أن ينال منها سريعاً، فقد بدأت محاولاتها لاقتفاء أثره. كانت تسأل عنه الغرباء والمجانين، السعاة والرعاة والفرسان، الرواة والشعراء. إلا أن أحداً منهم لم يره في مكان أو يسمع عنه شيئاً. آخر من التجأت إليه كانت إحدى العرافات الجوالات، التي سألتها:

"هل هو شاعر ؟"

"نعم.. هو كذلك !" أجابت ليلى.

فقرأت المرأة العرافة فنجانها، وقالت بنبرة لا تخلو من التشاؤم:

حـــــب
PDF Eraser Free

"أرى هنا شاعراً يبحث عن.... !"

"عماذا ؟"

"عن صحراء !"

"صحراء ؟!" سألتها ليلى متوجسة:" وماذا يفعل شاعر بالصحراء ؟"

"ليموت فيها !"

لم تصدق ليلى تلك العرافة. لكنها قررت نسيان قيس والمضي في حياتها. كاد أن يتحقق لها ذلك، لولا أن ثمة ما حدث أخيراً، وأعاد لها ذكرى عاشقها.

ففي يوم من أيام الربيع، كانت فيه الشمس ساطعة ودافئة، خرجت ليلى كعادتها برفقة بعض النسوة، لشطف ثياب زوجها على جرف النهر. وبفعل مسحوق الغسيل، انتشرت رغوة كثيفة على سطح الماء. مدّت بعض السمكات أفواهها فانبعثت منها فقاعات قوس قزحية ملونة وكبيرة تحمل في داخلها ابتسامات.

كانت تلك ابتسامات الذين غرقوا.

وعلى الرغم من كثرتها إلا أن ليلى استطاعت التعرف على ابتسامة حبيبها. فقد كانت محشورة بين قوسين.

PDF Eraser Free

رسائل

كان مشـتاق يقضي المسـاء على ضفة النهر، ويلبث هناك حتى سـاعة متأخرة من الليل، يكرع من زجاجة خمرة محلية ويغني أو يبكي على فراق محبوبته شـامة، التي أُرغمت على التزوج من شـخص آخر يقع بيته عبر النهر. وحدث في إحدى تلك الليالي أن أشـعل مشتاق عوداً من الثقاب وقرّبـه من السـيجارة المرتجفة بين شـفتيه، فلمح، عـلى الضفة الأخرى، ضوء التمع لثوانٍ قبل أن يختفي. كان عود الثقاب قد انطفأ ولذع إبهامه والسـبابة، فأشـعل غيره ليرى ذلـك الضوء من جديد وهـو يومض ثم يختفي بعد لحظات.

لم يشـك مشـتاق أن مصدر ذلك الضوء هي محبوبته المغصوبة شامة. لقـد تعرفت على نار سـجائره، بعد أن خبرت لأعـوام مضت نيران قلبه المتأججـة عليها، فراحت تلعب معه تلك اللعبة الغرامية المسـلية. فكلما أشـعل هو عود ثقـاب ردّت هي عليه بالمثل، واسـتمرا عـلى هذا النحو لأكثر من عام استعمل مشتاق خلاله الآلاف من علب الكبريت.

أتعبه الأمر، فقرر استبدال أعواد الثقاب بالولّاعة.

بعد مرور عام آخر توصل إلى طريقة جديدة: المصباح اليدوي.

وما زال مشـتاق يرسـل وميضه المجنون كل ليلة، من دون أن يمنعه حر الصيف وبرد الشـتاء وعواصف الخريف من ممارسة طقسه المحبب هـذا، حتى شـعر في أحد الأيـام، حين هم بمغـادرة الضفـة، أنه أصبح عاجـزاً عـن الحركة. وما أن أشرقت الشـمس حتى مرّ مـن أمامه قارب

PDF Eraser Free

يحمـل عـلى متنه رجل وامـرأة. كانت المـرأة تبحث بعينيهـا عن شيء ما عـلى الضفـة، ولا يبدو أنها سـتعثر عليه. بينما كان الرجل يشـزره بعينين حاقدتين.

أراد أن ينادي على المرأة ويقول لها:

"هيييي ! شامة، أنا هنا ألا تريني ؟"

لكنه عجز أن يفعل ذلك.

لم يحرك سـاكناً، ولم يسـمع من قبل أن فناراً غيره تحرك من مكانه، إلا ليُهدم.

PDF Eraser Free

عصافير سلمى

كلما تقدم لسلمى خاطب، وأوشك أهلها على تزويجها منه، يؤلمها صدرها على نحو ما تفعل السكاكين.

كانت آلاماً مبرحة، كأن ثمة مناقير حادة تنهشها من الداخل، وتحيلها إلى جثة نحيلة، منهكة، وممددة طوال الوقت. الأمر الذي لم يستسغه أولئك الخُطّاب، الذين يمنّون أنفسهم بامرأة قوية، منيعة، قادرة على العمل كماكينة، وبوسعها إنجاب دزينة من الأولاد، مثل مفقس نشط. وليس امرأة عليلة، شكّاءة، وبليدة مثل سلمى. وهو ما يجعلهم يعزفون عن الارتباط بها.

بعد فترة من الزمن، اتضح أن سبب الأوجاع التي تعاني منها سلمى، كلما تقدم لها أحد الخُطاب، هي مجموعة من العصافير في قفصها الصدري. أو هذا تحديداً ما كشفه جهاز السونار في عيادة الطبيب.

"عصافير ؟!" خمشت الأم خدها، في حين ذُهل الأب وبالكاد صدّق الخبر.

لم يتوصل الطب إلى كيفية نفاذ تلك العصافير إلى صدر سلمى. فلجأ أهلها إلى مخادع السحرة، الذين تزاحموا على غرفتها، وكل واحد منهم يقول: لديّ الدواء. إلا أن شيئاً لم يحصل في النهاية، بل على العكس ازدادت آلام سلمى المسكينة. فقال أحد أولئك السحرة معترفاً:

"نحن نفرّق بين المرء وزوجه، نسلب الإرادة، نستحضر الأرواح، ونستدعي الشياطين، ونُخرج الجن من الأجساد. لكن أن نطلق

PDF Eraser Free

العصافير من صدر فتاة، فهذا ما لا يقدر على فعله سوى الشعراء!

عندئذ، لم يبق شـاعر في المدينة إلا ولجأ إليه أهل سـلمى على أمل أن يجـدوا لديه العلاج، إلا أن أحداً منهم لم يتوصل إلى شيء، فقال أكثرهم حنكة في عالم الشعر:

"نحـن نكتب الشـعر ونغـوي الناس ونهيـم في الوديـان وفي النهاية نبحـث عن صحراء لنموت فيها. لكن أن نهـدّئ روع العصافير في صدر امرأة، فهذا ما لا يقدر على فعله سوى.... الحب !

ثم قال مودعاً:

"دعوا الفتاة تعشق.. لا تُفزعوا عصافير قلبها !"

PDF Eraser Free

الجعل

"ليس هناك عقاب افظع من عمل متعب لا أمل فيه ولا طائل منه"

البير كامو

في مساء أحد الأيام، من شهر آذار/ مارس، عاد برهان إلى منزله راجلاً. كان حزيناً، ومحبطاً، بعد أن تلقى آخر صدمة عاطفية، من قبل امرأة، وهي طالبة متغطرسة في الجامعة تدرس علم الإحياء، وتحديداً تشريح الحشرات، إذ ما زال يحاول استمالتها، منذ المرة الأولى التي رآها في المختبر، قبل عدة أسابيع، حتى فجعت قلبه برفضها إياه صباح ذلك اليوم.

وعلى غير عادته، كما يفعل العشاق المخذولين، في قصص وأفلام الحب، دس برهان يديه في جيبي بنطلونه، وشرع يصفر بفمه لحناً حزيناً، بينما هو يركل أول حصاة تصادفه في الطريق. كانت حصاة عادية رمادية اللون، لكنها لا تبدو مثل باقي الحصى، فهي مدورة كما لو أن أحداً جعلها على هذا النحو، ليسهل ركلها، وتتدحرج بحرية، لأبعد مسافة ممكنة. استمر بركلها على طول المسافة إلى المنزل، وإلى أن وصل، كان برهان، ولا يعرف إن خيّل له هذا أو أنه حدث بالفعل، قد لاحظ أن الحصاة كبر حجمها قليلاً. أحس بذلك عند منتصف الطريق، حين بدت أثقل مما كانت عليه في البداية. أحياناً، يعمد إلى ركلها بقوة، كأنه يفعل مع كرة. فتتدحرج بعيداً، وينسى أمرها اثناء ذلك، قبل أن تظهر أمامه مجدداً، بحجم وشكل أكبر من السابق.

PDF Eraser Free

لم يدخل برهان البيت في ذلك اليوم، آثر أن يكمل اللعبة حتى النهاية، فتابع ركل الحصاة الغريبة، التي أصبحت الآن بحجم كرة البولنغ، والتسكع معها في طرقات المدينة. كان يرى فيها رفيقاً مؤنساً، أكثر ليونة من الجلاميد القاسية القابعة في صدور بعض الآدميين، كدارسة علم الحشرات تلك. وفي أحيان أخرى، تجده يتضجر منها ويفكر بتركها والعودة إلى المنزل، لكنه في كل مرة يوشك أن يفعل هذا، يغريه حب الاستطلاع، ومعرفة إلى أين يمكن أن تصل به، وقد أصبحت بحجم كرة القدم، حين صادف في رحلته تلك بعض الصبية المتذمرين في الشارع. كانوا يجلسون على الرصيف، ينبشون أنوفهم بأصابعهم، ويتهامسون فيما بينهم. حينئذ، بادر هو بتمريرها إلى أحدهم، فقام هذا بدعوة الآخرين للعب الكرة. على الأقل، سيشغلون وقتهم الفائض بشيء مسلٍ، بدل الجلوس على قارعة الطريق واغتياب فتيات المدارس. وأيضاً، ليجد برهان في ذلك ذريعة للتخلص من هذه اللعبة، والعودة إلى المنزل، فقد تأخر كثيراً، وأصبح من غير المعقول الاستمرار بدحرجة حصاة غريبة الأطوار كهذه، طيلة النهار. لكنه آثر قبل ذلك، أن يحصل على بعض التسلية، باللعب مع أولئك الأولاد. فدخل بينهم، مأخوذاً بولعه القديم بكرة القدم. لقد عجز في صباه عن أن يكون لاعباً ماهراً، وقضى أوقاتاً مرة ومزعجة على دكة الاحتياط، في مباريات الفرق الشعبية. وها هو الآن، يستعرض ما تبقى لديه بالمراوغة ومحاورة الكرة بخفة ولباقة، وبتسجيل الاهداف في مرمى مكون من حجرين، وسط صفير وتصفيق وتشجيع صبية الشارع، الذين بدأوا يسأمون ويشكون، بعد أقل من ساعة، ثقل الحصاة المدورة، إذ أصبح من الموجع على

PDF Eraser Free
أقدامهم ركلها، بعد أن ازداد وزنها بينما هم يلعبون، وصارت بحجم كرة السلة.

وهكـذا، وجد برهان نفسـه وحيداً مجدداً، مع حصاتـه، التي اضطر إلى دحرجتهـا بباطن قدمه، ليتمكن من مواصلة المسـير، والتنقل بها من شـارع إلى آخر. وبحلول المسـاء، كانت تلك الحصاة قد تمددت إلى أكثر ممـا كان متوقعاً. بحيـث توجب عليه دفعها بقدمـه وبقوة. وبهذا أصبح مسيره بطيئاً، فهو في النهاية لا يدفع كرة من خشب، أو فلين، أو قماش. إنهـا حصاة كبيرة تكاد تتحـول إلى صخرة. عندئذ، قـرر برهان التوقف عند هذا الحد. كان منهكاً، ويشـعر بالجـوع والعطش والإرهاق. لكنه، لا يبدو جاداً، هذه المرة أيضاً، في تركها، ما لم يكشف غموض ما يحدث منذ الصباح.

جلـس على الحصاة، وراح يفكر بحياته الماضية، واكتشـف أن ما قام بـه من أعـمال، طيلة عمـره، لم تكن أقل وطأة وثقلاً وبؤسـاً ممـا يقوم به الآن، وهو يدفع حصاة تتغذى على دحرجته إياها. شعر بالنعاس، فركن الحصـاة على جانب الطريق، وتوسـد ذراعه وأغفـى. راوده حلماً، رأى فيه نفسـه وهو فوق الحصاة نفسـها، لكن بشـكلها العملاق. فقد كانت عبـارة عن كرة كبيرة، ضخمة، راح يدحرجهـا بقدميه، مثل بهلوان، إلى أن أصبحـت على غرار الكرة الأرضيـة الهائلة. وكانت نهاية المطاف، أنه جلـس على شـفا هاوية فيهـا، تطل على كرتنـا الأرضية الكبـيرة، وراح يتفـرج من هناك على البشر وهـم يدمرونها. كان يلمح النيران من بعيد، وهي تشـتعل هنا وهناك. وثمة بقع حمر يتصاعد منها الدخان، أشـار إلى واحدة منها قائلاً:

حساب
PDF Eraser Free

"هنا أسكن !"

استيقظ في صباح اليوم التالي على لغط عمال النظافة في الشارع، وأول شيء فعله هو أنه راح يتفحص الحصاة، كما يفعل مع إطار سيارة، قبل أن يباشر مسيره نحو المجهول. خمن أنه لن يستطيع الاستمرار ما لم يأكل شيئاً. فراح يدحرج الحصاة باتجاه السوق في وسط المدينة، حيث أمكنه هناك تناول غداءه في أحد المطاعم الشعبية، فقد استغرق منه الوصول إلى السوق ساعات، وإلى ذلك الوقت تكون الظهيرة قد انصرمت للتو.

بعد مضي أيام وشهور وأعوام، من الدحرجة والتنقل عبر الطرق الكثيرة والأحياء، وفوق الجسور، انتهى برهان إلى الصحراء. صادف في رحلته هذه الكثير من الناس، والمخلوقات الغريبة. وواجه العديد من الأخطار والمواقف الصعبة. وعاش أسوأ الظروف، برد، أمطار، حر، أمراض. حمّصت الشمس اللاهبة والصقيع البارد وجهه، حتى صار أشبه بأحد المسوخ. اعترض طريقه أعتى قطاع الطرق، الذين لم يجدوا فيه سوى أحد المجانين. كان يأكل ويشرب مما تجود به أيدي الناس، بالقدر الذي يوفر له القوة اللازمة لدفع الحصاة التي أصبحت بنصف قامته، عبارة عن كرة ضخمة ومغلفة بالبراز وذات رائحة عطنة، كريهة، بسبب مروره بمنطقة للرعي، يقود فيها أحد الكلاب الحقيرة قطيعاً من الخراف. ولما كانت الأرض مليئة بفضلات تلك الخراف الجبانة، فقد ساهم ذلك في ازدياد حجمها ووزنها. وعند خروجه من تلك البقعة النتنة، إلى الصحراء، اكتشف برهان أنه لم يكن وحده هذه المرة، فقد كان هناك الآلاف من الجعول المنهمكة في دحرجة كرات الروث بقدميها، بينما يدفع هو كرته بيديه. ولا يعرف إن كانت تلك الجعول قد تعملقت

PDF Eraser Free
وتضخمت حتى صارت بحجمه، أم أنه هو من تضاءل إلى هذا الحد. أزعجه الأمر، لكنه في الوقت نفسه، لم يخفي استئناسه بهذه الرفقة، التي استمرت حتى بلوغه جبلاً على مقربة من الحدود.

استغرب برهان أن يُصادف في طريقه جبلاً، في مدينة مثل البصرة. ثم سرعان ما تذكر أن ثمة جبل يتيم يقبع هناك ويُدعى سنام. وتروي إحدى أساطير شبه الجزيرة العربية أن سنام هذا كان مع عشيقته وتُدعى طمية، يعيشان ضمن سلسلة جبال الحجاز، ولأنهما انزعجا من الجبال الملاصقة لهما، انقطعا عنها واتجها شرقا، ولما وصلا إلى منطقة نجد توقفت طمية، وامتنعت عن مواصلة المسير بسبب الإرهاق الشديد، ولم ينفع معها إلحاح عشيقها سنام، الذي تركها غاضباً وواصل الرحلة لوحده، وعندما ابتعد عنها كثيراً ندم على فعلته، واشتاق لرؤيتها، فالتفت وراءه لعله يلمحها، إلا ان رقبته تحجّرت، مما أدى إلى وقوفه الأبدي في تلك البقعة. في حين ظلت طمية تجهش بالبكاء، وتتوسل حبيبها كي يعود، لكن من دون جدوى، حتى تحولت دموعها الى مجرى مائي يصب عند سفح جبل سنام. وما زال بعض الأهالي في تلك الناحية يشيرون إلى بقايا نهر جاف، على أنه مجرى دموع طمية.

"لكن هل هذا هو حقاً ؟"

تساءل برهان وهو يثبت نظره على الجعول التي انهمكت بدفع كرات الروث نحو الجبل. تردد حينئذ في ما إذا كان سيحذو حذوهم. استغرق في التفكير وقتاً، كانت تلك الحشرات قد وصلت خلاله إلى قمة الجبل، ثم اختفت وراءه بلمح البصر. حينذاك، قرر الصعود في اثرها مردداً مع نفسه: ما بها حياة الجعول ؟ تبدو أفضل من حياة البشر وهرائها

PDF Eraser Free
ولا منطقيتها وعبثها ولا عقلانيتها ونكدها المستمر. لكنها كانت مهمة سيزيفية صعبة للغاية، إذ كلما اقترب برهان من القمة، تتهالك قواه ويفلت الحصاة، فتتدحرج هذه إلى الاسفل من دون اكتراث. ثم يعود مجدداً ليدفعها باتجاه الأعلى، لتنهار قواه، تفلت منه، وتتدحرج بتلك الطريقة. وهكذا، إلى أن وجد نفسه محشوراً بين إصبعي الإبهام والسبابة، ليدٍ ترتدي قفازاً مطاطياً، حملته وقذفت به في زجاجة انتهت في غضون ساعة على أحد الأرفف، في مختبر لدراسة علم الحشرات، حيث سينتظر هناك دوره في التشريح، على يده محبوبته المتغطرسة.

PDF Eraser Free

حجر

حينما أرادت أن تمنعه ليكفّ عن جنونه وهوسـه بها واقتفاء أثرها في كل مكان، صاحت في وجهه:

"إلى متى تستمر بذلك ؟!"

فرد بإصرار العاشق:

"إلى نهاية العمر"

"ستتعثر بي يوماً" قالت

"سأقع عليك !" أجابها

"ستبكي كثيراً" قالت ولم يفهم معنى ذلك.

استمر في مشواره واقتفاء أثرها لأعوام طويلة، حتى استُنزفت قواه، وانحنى ظهره، وغزا الشـيب رأسـه، وفي النهاية تعثر بحجر في الطريق وتلقتـه أرض رخـوة انبعثت منهـا رائحة الموت. وحـين أمعن النظر إلى حجر العثرة بعينيه الغائرتين اكتشف أنه شاهدة قبر نُقش عليه اسمها.

حـــــب
PDF Eraser Free

فيروز

كان طارق ضليعاً في التشبيه. كان ساحراً على الأرجح.

إذا ما شـبّه أحداً ما، فإنه يتحول إلى الشيء المشـبّه به على نحو جلب له الشهرة.

"لا أعـرف إن كان ما أُشـيع عنه صحيحاً" يقـول أبي:" لكني اعرف امرأة منذ أن سمع صوتها من الراديو لأول مرة في عام 1952، وشبّهها بعصفورة الصباح...

وهي ما تزال تغرّد !"

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

أمهات

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

الصورة

في أحـد الأيـام، طلبت رسـمية مـن ابنتهـا أن تجلب صـور العائلة. اسـتغربت الابنـة أن تطلـب امرأة عميـاء كوالدتها مثل هـذا الطلب. لم تحـزر، كما أنها لم تسـألها ماذا تفعل بالصورة، أو حتى تناقشـها في الأمر. كانت تعرف أن ذلك سـيغضبها. فتبدأ، عندئذ، بعض اصبع السبابة إلى أن تنفـذ طلبها، وهـي العادة التي تلازم البعض مـن الأمهات، في حالة الغضب. فنهضت فوراً، وراحت تبحث عن تلك الصور في كل مكان، حتـى عثرت عليها في صندوق معـدني مخبّئ في إحدى الجرارات. جلبته معهـا، أخرجت منـه الصـور وقامت ببعثرتهـا عـلى الأرض، أمام الأم الضريـرة، التـي راحت تتلمسـها بيدين نحيلتين مرتعشـتين بفعل عجز القلـب المزمـن، كأنها تبحث بينها عن ضالتهـا. عندئذ، علمت الأبنة ما تريد أن تبلغه أمها الضريرة، فأرادت مساعدتها، لكنها رفضت يد العون تلك بشدة، قائلة:

"لا تتدخلي.. القلب يعرف شغله !"

تركتهـا تعثر عـلى غايتها بنفسـها، لكن الأمر الذي زاد من دهشـتها واسـتغرابها، هـو أن والدتهـا شرعـت بالتقاط الصـور، بحركـة بطيئة، واحـدة في إثر الأخـرى. وكانت كلما التقطت صـورة، تقرّبها من أنفها، تتنشـقها بعمـق، فتبدو في حينها كـما لو أنها تختبر عطر زهـرة ما، وليس صـورة. فكرت في أن تسـألها عما تفعله، لكنها لزمت لسـانها في اللحظة الأخيرة، واكتفت بمراقبتها، لترى ما تروم فعله في نهاية المطاف.

PDF Eraser Free

وفجأة، توقفت الأم عند إحدى الصور، وراحت تشمها على نحو، ظنت معه أنها بصدد أن تلفظ أنفاسها الأخيرة.

"هذه هي !" صاحت بملء فمها كمن عثرت على شيء ثمين: "وجدتها !"

هنا، تصاعدت وتيرة الشم لدى الأم. كانت تضع الصورة على صدرها حيناً بينما هي تولول للحظات، ثم تلصقها بأنفها حيناً آخر، وتسحب نفساً عميقاً لتعب منه رئتيها، تماماً كما تفعل مع نبتة عطرية نادرة وجدتها أخيراً.

وحين لم تعد الابنة تحتمل المزيد من الغموض الذي يحدث أمامها، سألت أمها عن جدوى كل ما فعلته، خصوصاً وأن الصورة المختارة لم تكن عائدة للابن المفقود منذ الحرب العراقية الإيرانية لوحده، بل هي صورة جماعية التقطت في حديقة المنزل لكل أفراد العائلة. فلماذا تحوز مثل هذه الصورة على اهتمامها، في حين لم تقف عند واحدة من صوره، التي يظهر فيها منفرداً في عدة أمكنة وفي مناسبات مختلفة: بثياب العيد في الخامسة من عمره، على الكورنيش متكئاً على جذع شجرة زيزفون، في ساحة الكرة بثيابه الرياضية، في حرم الجامعة بزيه الموحّد، في مركز التدريب مرتدياً الملابس الكاكية، وغيرها من الصور التي لم تعرها اهتمامها.

صمتت الأم لدقيقة، كانت ما تزال تضم خلالها تلك الصورة إلى صدرها، بينما هي تحدّق أمامها بنظرات فارغة، ذاهلة. ثم سألت ابنتها عما إذا كانت تتذكر ما الذي فعله سامر، منذ أكثر من عشرين عاماً، حين كان في الثامنة من عمره، ظناً منه أن ذلك سيزيد من أناقته.

PDF Eraser Free

فتذكرت الابنة قائلة:

"لقد استأذن الجميع قبل التقاط الصورة وهرع إلى الداخل مسرعاً. غاب عدة دقائق، ثم عاد وهو يهتف: أنا جاهز ! أظن أنه مشّط شعره، أو ربما بدّل قميصه.. حسناً، لا أتذكر !"

"لا هذا ولا ذاك !" قالت الأم بنبرة تنم عن دراية:" لم تحزري !"

"إذن..." سألتها الابنة بصوت تائق لمعرفة ما الذي فعله شقيقها المفقود:" ما الذي كان يفعله في الداخل يا أمي ؟"

"أنا أقول لكِ" أجابت الأم وهي تشم الصورة للمرة الألف:" كان يرش عطراً !"

PDF Eraser Free
أفلام

كانت أمي تظن أن مكسيم غوركي صنفاً من الدبابات المستوردة من الاتحاد السوفيتي، إذ كثيرا ما يردده أبي المغرم بالأدب الروسي وأفلام الواقعية الاشتراكية، وتحديداً فيلم" الأم" المقتبس من الرواية التي تحمل الاسم نفسه. كان يناغيني قائلاً بينما هو ينقر على أنفي المدبب:

"أنت سمين يا ولد كرواية لفيودور دوستويفسكي !"

كان قد مضى على ولادتي ثلاثة أشهر، حينما انهارت الجبهة الوطنية، بين الشيوعيين والبعثيين، وبدأت حملات الاعتقال والتعذيب. كانت جبهة سيئة الصيت على أي حال، لم يشارك فيها أبي، الذي صار مغرماً فجأة بالسينما الهندية.

كانت الأم الروسية قد اختفت من على شاشات السينما والتلفاز، وحلّت مكانها الأم الهندية. كان أميتاب باتشان في حينها (أما هذا فقط كانت تظن أمي أنه نوع من البهارات الحارة) مع أمه في الفيلم يغنيان بحزن، وقد أبكيا العراقيين من دون طائل. يدخل المرء إلى السينما ليستمتع بالمشاهدة، لكنه يخرج بعد ساعتين، بعينين متورمتين جافتين. إلا أن الأمر لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما أدمن أبي مشاهدة أفلام الرعب. ضحى بقوتنا لمدة ثلاثة أشهر ليشتري جهاز فيديو يشاهد من خلاله أفلامه المفضلة، البريق، مستذئب أمريكي في لندن، كابوس شارع إيلم، أطفال الذرى، وغيرها.

حدث ذلك بعد اندلاع الحرب وسوق أخوتي إلى الجندية، في وقت

PDF Eraser Free
كانت الأم الهندية قد اختفت هي الأخرى، بعد أن أعلقت دور السينما بسبب القصف المدفعي الإيراني، لتحل مكانها أمي. أمي التي ما زالت تجهش بالبكاء حتى الآن.

منذ ذلك الحين، والعرض في بيتنا ما زال مستمراً.

PDF Eraser Free

سخام

طالما كان حمزة السبب في جميع أمراض أمه.

كان مشاغباً، يسرق الكحل من العين ولا يدع دجاجة ترقد فوق بيضها. وكانت أمه تدعو عليه قائلة، بينما هي تعض إصبعها السبابة من الغضب حتى تدميه، وقد تخمش خديها أحياناً:

"سخّم الله وجهك !"

في حين كان رفاقه البارّين بذويهم يتلقون دعاء أمهاتهم اللائي كن يذيلن تحايا الصباح بكلمات الإطراء والرضا عنهم، ولسان حال كل واحدة منهن يقول:

"بيّض الله وجهك يا بني"

كبر الجميع، واندلعت الحرب. وقُتل جميع الأصدقاء. صاروا أشباحاً بوجوه بيض شاحبة كالموت، يزورون أحلام أمهاتهم ويثيرون فيهن الحنين والبكاء.

وحده حمزة، الشقي، لم يمت. إذ لم يزل سخام الحرب الأخيرة يسوّد وجهه. بعد أن استجاب الله لدعاء أمه أيضاً. أمه التي نسيت أمراضها واحتضنته قائلة:

"سخام في الوجه أفضل من عظام في قبر !"

PDF Eraser Free

الكون

اعتادت أن تسأله، ومنذ الصغر، عن مقدار حبه لها.

حتى وهي في السبعين من عمرها، لم تنس حليمة سؤالها الأمومي، الجالب للسعادة:

"كم تحبني ؟"

وعلى ما يبدو، أن جواد، فقد الوسائل اللازمة، للتعبير عن مقدار حب الأبناء لأمهاتهم، أو وصفه على الأقل. أصبحت كلماته وتعابيره متكلفة، لا تلبي طموح الأم. ولم يعد الكون الذي يقيس به ذلك الحب، واسعاً بما يكفي لإرضائها.

"وهل هناك أوسع من الكون ؟"

تساءل مرة. فجاءه الجواب بعد فترة قصيرة.

كانت ابنته الصغيرة تلهو مع جدتها، التي سألتها السؤال نفسه:

"كم تحبينني يا بنت ؟"

فعضّت الطفلة شفتها السفلى وأطرقت برأسها، مستغرقة بالتفكير، تبحث عن وسيلة مناسبة للتعبير عن مقدار حبها، لتظفر بالمكافأة، قطعة الشوكولا التي تخبئها الجدة وراء ظهرها.

أخيراً، رفعت الطفلة كعبي قدميها، وبيديها الصغيرتين، رسمت دائرة في الهواء، قائلة بنبرة المكتشف:

"بهذا الحجم !"

كانت فرحة الجدة عظيمة في تلك الأثناء.

PDF Eraser Free

يونس

الأمهات في جنوب العراق مولعات بالقِباب. ما أن يرين قبّة خضراء أو بيضاء أو مذهّبة، حتى يتلقينها بيدين ضارعتين.

عندما بدأوا بتفجير القِباب في شمال العراق، وتحديداً في الموصل، كنتُ أقرأ طالع النبي يونس في برج الحوت. فعلمتُ أنهم نسفوا ضريحه. لم أخبر أمي بالأمر، لكنها سمعت بذلك من الأخبار، ولم تحزن. حتى أنها لم تذرف دمعة واحدة. لكنها قالت:

"لا بأس، سنشتري غداً جميع اليقطينات الموجودة في السوق ونبني له قبّة !"

PDF Eraser Free

الشريط

لم تكـن النسـاء الأربـع في دكان بيـع الشرائط والدانتيلا، في السـوق الذي يطلقون عليه سوق البنات وسط البصرة، يعرفن بعضهن البعض. لكن، جمعتهن مناسـبة شراء الشرائط لبناتهن الصغيرات، قبل بدء العام الدراسي.

المرأة الأولى اشـترت شريطاً أحمر، والثانيـة شريطاً أخضر، أما الثالثة فقد اشـترت شريطاً أصفر. وحدها المرأة الرابعة اشـترط شريطاً أسود. وبينما كانت النسـاء الثلاث يجربن الشرائط، ويربطن بها شـعور بناتهنّ، كانـت المـرأة الرابعة قد أخرجت مـن حقيبتها صورة لفتاة في السادسـة مـن العمـر، وألصقت الشريط الأسـود في الزاوية العلويـة اليسرى، ثم عرضت الصورة على النساء الثلاثة، قائلة:

"هل يبدو لائقاً ؟"

PDF Eraser Free

وشم

استطاع الجنود، زملاء وسام، أن يقرأوا الكلمة الأولى التي وشمها على صدره قبل أن يُقتل وهي كلمة" أُريد". في حين ما زالت الكلمة الثانية مجهولة، فقد اخترقت الرصاصة قلبه من الخلف، واجتثت كتلة من صدره، فضاعت معها الكلمة الأخرى.

حملوه إلى ذويه في الجنوب. وما أن فتحوا النعش، حتى ألقت امرأة حاسرة الرأس ملفعة بالسواد، بنفسها على صدره.

عندئذ، علموا أنه كان يريد أمه.

PDF Eraser Free

نساء

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

رائحة الكف

بما يشبه السحر، اعتاد حبيب أن يطلب من زوجته حنان ضم أصابعها إلى راحة يدها، وتكوين قبضة، وتركها هكذا فترة من الزمن حتى تتعرق، ثم يدعوها إلى شمها، لتحزر الشيء الذي عادة ما يجلبه معه، في كل مرة يعود إلى البيت: وردة، تفاحة، سمكة، خاتم، قارورة عطر. وهدايا أخرى دائماً ما تتمكن حنان من معرفتها، ما أن تشم كفها المتعرقة.

في أحد الأيام، عاد حبيب إلى البيت، وعلى غير عادته، لم يطلب منها أن تضم أصابعها. حدست أن شيئاً في زوجها لم يكن على ما يرام، رغم أنه حاول أن يكون طبيعياً، ويبدو أنه لم ينجح. أرادت أن تستعلم منه، لكنه سارع إلى طمأنتها قائلاً، أن الأمر ليس سيئاً إلى الحد الذي تتخيله، وأنه ليس ثمة داع للقلق.

"بعض المشاكل الصغيرة في العمل"

قال لها، وذهب إلى الفراش. حتى أنه لم يسألها، كما هي العادة، ماذا أعدت للغداء. تساءلت عما منعه، هذه المرة، من أن يلعب معها لعبته السحرية، لعبة ضم اليد. كانت تعرف أنه يتواطأ معها في كل مرة، ويجعلها تعرف الشيء الذي يجلبه من خلال شم يدها. لا تعرف كيف يحدث ذلك، وأين تعلمه. لكنها تستمتع باللعبة كثيراً، واعتادت عليها.

نظرت إلى يدها، وخطر لها أن تفعل ذلك من تلقاء نفسها. كوّنت قبضة وتركتها لدقائق، إلى أن تعرق باطن كفها، وعندما أرادت أن تفتحها لتشمها، أحست أن ثمة شيء ما يمنعها، شيء غامض، مجهول،

PDF Eraser Free

لا تعرف ما هو بالضبط، لكنها تشعر أنه نذير شؤم. أحست بالخوف وهو يسري في أوصالها. لكن، مم هي خائفة ؟ لا تعرف أيضاً.. تجهم وجهها وكساه الحزن على نحو كان مدعاة لاستجلاب الدموع التي انهمرت على خديها بغزارة. حل المساء، وانقضى الليل، وأشرقت شمس اليوم التالي، وهي ما تزال تضم أصابعها إلى باطن كفها، ولا يبدو أنها ستفتحها في القريب العاجل.

عندما لاحظ حبيب كل ذلك، لم يسألها ما المشكلة. كأنه خشي هو الآخر، إن فتحت يدها وشمتها، يحدث ما لا يرجوه. كان يظن أنها لن تبادر إلى إنهاء الأمر، ما لم يطلب منها ذلك. وهو ما لم يفكر به طيلة أسبوع كامل. وحين رأى أن أمراً كهذا لا يمكن أن يستمر إلى الأبد، قرر إيقاف اللعبة بنفسه، وسيطلب منها ذلك مساءً، لن تحدث كارثة. غير أن حنان لم تمتثل لطلبه، وأبقت على يدها مغلقة. وقتئذ، علم أنها لم تكن تلعب.

وهكذا، ظلت المرأة مطبقة أصابعها على راحة يدها، شادة عليها بالإبهام ليل نهار. كانت تطبخ، وتقوم بأعمال البيت بيد واحدة، إلى أن اعتادت على ذلك بمرور الوقت. عدت نفسها معاقة، وأكملت ما بدأته حتى النهاية. حتى وهي نائمة، كانت توثق يدها بشريط لاصق حتى لا تُفتح بينما هي غائبة عن الوعي. وما زالت تفعل ذلك لأعوام كثيرة لم يلمح أحد خلالها ابتسامة واحدة على وجهها، حتى وجِدت ميتة على سريرها في أحد الأيام، ويدها ما تزال مضمومة، كما لو انها تقبض في وسطها على جمرة.

ماتت حنان ولم تشم رائحة المرأة الأخرى.

PDF Eraser Free

قمرهن

اعتـاد مردان مواعدتها في الصباح الباكـر." قمرهن" راعية الأغنام، التي تسـكن في إحدى القرى المجانبة للنهر ، ليس بعيداً عن مقر الفوج الآلي الذي يخدم فيه.

يتسـلل مـردان سـائق المدرعـة أم تي إل بي روسـية الصنـع، في تلك السـاعات المبكرة من كل يوم، ليلتقي بها على الضفة، بين ثغاء القطعان ورائحة السرجين. لكنها، ولسـبب ما، كانت تمنع نفسها عنه في كل مرة يحاول هو التقرب منها. تهدده بالصراخ إن هو تجرأ على لمسـها رغماً عن ارادتها. وتقول له إنها لا تثق بالجنود، ينام أحدهم مع المرأة وحقيبته على ظهره. قد يضطر للتوسل بها، بينما هو يقسم لها ويعدها بالتقدم لخطبتها، مـا أن يتـسرّح من الجيش. لكنه لا يحصل، في المقابل، على شيء يسـتحق المخاطرة، سـوى قبلـة يتيمة على خدهـا. أما الباقي، فبوسـعه الحصول عليه في ليلة الزفاف الموعودة.

إلا أن مـردان، ولكـي لا يكـون موضـع سـخرية رفاقـه الجنـود في الفصيـل، يعمـد إلى تصنع الزهو أمامهـم، بينما هو يصف لهـم مفاتنها، ويـروي مغامراته الجنسـية المتخيلة مـع" قمرهن" قائـلاً أنها، خاضعة، طائعة، مثل الدمية بين يديه.

"دمية ؟" يقول له أحد الجنود:" ومن أين تصرخ هذه ؟"

لم يرد مردان. قال فقط أنهم يعرفون من أين تصرخ الدمى.

PDF Eraser Free

بعـد انتهـاء آخر إجازة دوريـة له، والتحاقـه إلى الثكنـة، تلقى جبار الخـبر المفجـع. فقـد قـام مجموعـة مـن الجنـود المسـعورين باغتصاب" قمرهن"وإلقاء جثتها في النهر.

وقد انتزعوا سرتها لكي لا يسمع أحد صراخها.

PDF Eraser Free

عطر زهرة الكرز

غـروب كل يـوم، ترتـدي حوريـة عباءتهـا، وتحكـم شـد حجابها، وتخـرج إلى المرفـأ الصغير الـذي يقع عـلى مقربة من بيتهـا. تقف هناك، تتأمـل الذوبان البطيء للشـمس الغاربة في حلق الشـمس، وتملأ رئتيها بالهـواء النقـي. تنظر في كل الاتجاهات، متوجسـة، وحـين لا ترى أحداً تطلق شعرها المعطر برائحة زهرة الكرز للريح الهادئة، الوادعة، المحملة بشـوق الغواصـين وصيحاتهـم. تغمـض عينيهـا، وبرفـق تعض طرف شـفتها السـفلى، بينما هي تصغي إلى حفيف الحوار المخملي بين شـعرها والريح.

بهدوء، كما لو أنها تسـير على أطـراف أصابعها، لكي لا توقظ نورس نائم هناك، أو حورية تتوسد صخرة ملساء على الجرف، أو حتى سمكة تـشي بسرها للصيادين. تصل إلى نهاية المرسـى الحجري الممتد في البحر إلى عـشرة أمتار. وبخفة تثـب إلى زورق هناك، لم تمض فـترة طويلة منذ أن عـاد صاحبه محملاً بالصيد. في حين لا تزال بعض الكائنات البحرية عالقـة في شـباكه. أسـماك صغـيرة، مرجان، قواقـع، حلزونـات، محار، ونجوم بحر ملونة. تنتشل نجمة حمراء صغيرة وتزرعها في شعرها، وكما لـو أنها تفعل ذلك أمام مرآة، تبتسـم للبحر، تسـأله هامسـة للماء:" هل ترى يا بحر كم أنا جميلة ؟"

في ليلة العيد، بينما هي كعادتها تراقب وتتأمل البحر بعينين عاشقتين، ترى سـمكة تلبط هنا، وسـلحفاة تخرج رأسـها هناك. أضواء الفنارات البعيـدة، والنسـيم يخاتل شـعرها البني ويداعبه بأصابـع خفية وناعمة.

PDF Eraser Free

سـمعت حوريـة جلبـة خلفها ووقـع أقـدام أفزعتها. فأمسـكت نجمة البحـر التي تزين شـعرها والتفتـت، لترى مجموعة من صيـادي القرية، وهم يطوحون بالمجاذيف والبلطات التي يقطعون بها رؤوس الأسـماك الكبيرة. وثمة شرر يلصف كأسماك متوحشة في أعينهم التي اتسعت على نحـو مخيف، بينما هم يطالبونها بأن تغطي شـعرها، ويمررون سـباباتهم على نحورهم، محاكين بذلك فعلاً يكاد لغطه المرعب أن يصل إلى إذنيها بوحشية:" تراك ! تراك !"

وسـط هـذا الرعب الذي كان يهـدر أمامها، ويتقـدم نحوها مطوّحاً بالآلات الجارحة، وضعت حورية نجمة ثانية في شعرها. كانت خضراء هذه المرة. ثم تبعتها بأخرى صفراء، فزرقاء، حتى امتلأ شعرها بالنجوم. طرفت بعينيها، وألقت بنفسها في البحر، ولم تخرج منه أبداً.

في صباح اليوم التالي، صباح العيد. استيقظن فتيات القرية من النوم، وفي شعر كل فتاة منهن نجمة بحر ملونة.

PDF Eraser Free

سُرّاق الكحل

طالما سمعت زهرة أن الرجال يسرقون الكحل من العين. لم تصدق، وعدّت ذلك أسـطورة صغيرة تتداولها النساء المأزومات، الفاشلات في الحب، حتى جاء يوم جربت الأمر بنفسها.

في ذلك اليوم، سـألت زهرة حبيبها عن ذلك، في أول لقاء جمعها به. فقال لها مؤكداً:

"بل صدّقي"

"حقاً ؟!" أرعبها الجواب:" وكيف تفعلون ذلك ؟"

"بسهولة" ردّ عليها مبتسماً بمكر بينما هو يرشف القهوة.

"ومتى تفعلون ذلك ؟" سألته.

"عندما تبكين" أجابها.

"وإن بكينا ؟" سألته مجدداً.

"يسيح الكحل مع الدموع" قال لها غامزاً.

"وماذا بعد ؟"

"نمسحه"

"وبعدها ؟"

فحكّ أنفه وجحظ بعينيه جانباً وقال:

"نغادر"

..... وبكت زهرة !

PDF Eraser Free

الوردة

اعتـاد البسـتاني، الذي يعمـل في إحـدى الحدائق، أن يدلـل زوجته ويصفها بالوردة. يفعل ذلك بشـكل يومي. أثنـاء وجبات الطعام، على السريـر، وحتى في أحلامه. يقـول لها وردة حيـاتي، وردة عمري، وردة روحي، قلبي، أحلامي إلخ....

في إحـدى الليـالي، أثناء نومهـا، رأت الزوجة نفسـها في الحلم، وقد أصبحت وردة كبيرة. كان جسـدها مغلفاً بتويجات ورد الجوري الأحمر عـلى نحو كثيف. أذهلها ذلك وفرحت كثيراً، وتوقعت أن يدخل تحولها الحلمي هذا السرور إلى قلب زوجها، الذي كان على العكس مما توقعت، إذ لم يكن على طبيعته في ذلك الحلم الوردي. حتى أنه لم يصفها بالوردة، وقـد أحزنهـا أنه راح يناديها باسـم امرأة أخرى. فشرعـت بالبكاء حتى ابتلت وسادتها واستيقظت في صباح اليوم التالي. استيقظت على صوته، وكان ينتف تويجات الورد من جسدها، ويردد مغموماً:

"تحبني... لا تحبني ! تحبني.. لا تحبـ..... !"

PDF Eraser Free

امرأة المناديل

طالما أُغرمت سوسن بالمناديل، ودأبت على شرائها وجمعها. وهي العادة التي لم تفارقها منذ الصغر، عندما اشترت لها أمها منديلاً ورديـاً مطرزاً بورود بيض. كانت مصابة بالزكام في حينها، لكنها لم تمسح أنفها به أبداً، غير عابئة بتقريع الأم وتوبيخها. منذ ذلك اليوم، وهي مهووسة بالمناديل، وتواظب على شرائها، حتى أصبح لديها تشكيلة كبيرة، بألوان وأشكال متعددة، وأنواع مختلفة: حرير، قطن، اسفنج، دانتيل شوليه.

وفي كل مرة ترتبط سوسن برجل ما، تهديه منديلاً. الأمر الذي جلب لها الشؤم، أو هذا على الأقل ما تظنه صديقاتها. وعلى الرغم من ذلك، لم تكف يوماً عن إهداء المناديل للرجال الذين تحبهم، في نوع من التحدي. فهي مغرمة بها، ولا تصدق أن أشياء ناعمة، ورقيقة، وجميلة كالمناديل، يمكن أن تكون السبب وراء سوء الطالع، الذي يرافق تجاربها الغرامية مع أولئك الرجال.

أول رجل أحبته سوسن، غادرها بعد ستة أشهر. كان يمتاز بالنفاق العاطفي على نحو مربك، إلى درجة أنه لم يمسك نفسه عن البكاء، بينما هو ينطق كلمات الوداع. أخرج المنديل الذي أهدته إياه. مسح دموعه، قبل أن يتمخط به بطريقة مقززة، ويغادر من دون رجعة.

الرجل الثاني، بقي معها فترة أقل. حوالي ثلاثة أشهر. وكان غريب الأطوار، صموتاً أغلب الوقت. لذا، لم يكلف نفسه عناء النطق بتلك الكلمات الموجعة، التي كانت أشد وطأة عليها من سقوط غيمة من الكونكريت فوق رأسها، إنما راح يلّوح لها بالمنديل، هديتها له، حتى اختفى تماماً.

PDF Eraser Free

الرجل الثالث، وكان انهزامياً في طبعه وموسوساً، لم يقاوم البقاء معها طويلاً، فأعلن استسلامه، ورفع رايته، وكانت عبارة عن المنديل الأبيض الذي سبق وأن أهدته إياه في عيد ميلاده السابق.

الرجل الرابع، كان محتالاً ومخاتلاً. لكي يتخلص منها بعد أن نهب كل ما في معيتها، ما عدا المناديل، لعب معها لعبة خادعة. عصب عينيها بالمنديل، وطلب منها أن تمسك به إن استطاعت. لكنها لم تمسك شيئاً في النهاية سوى خيبتها والجدران، التي راحت ترتطم بها طوال ذلك اليوم.

الرجل الخامس، كان سادياً. لكن شيئاً من ساديته تلك لم تظهر إلا بعد خمسة أسابيع، عندما أوثق يديها بالمنديل المهدى إليه من قبلها، قبل أن يباشر بتعذيبها، ثم يهرب.

الرجل السادس، عندما أحست بقرب مغادرته، أغلقت عليه الأبواب وحبسته في المنزل. نسيت أنه ساحر، وبإمكانه أن يختفي بحركتين، كأن يغطي وجهه بالمنديل الذي كانت قد طرزته بتعويذة من أجل أن يبقى، ثم يفتعل بأصابع يده الثانية حركة أخرى، بينما هو يتمتم بكلمات مبهمة، ليتلاشى بعدها إلى الأبد.

الرجل السابع، كان أحد أولئك القراء المهووسين بنهايات الأفلام والقصص المأساوية، فكادت أن تكون نهايتها على يده، حينما اتهمها بالخيانة، وخنقها بالمنديل نفسه، الذي كانت قد ناولته إياه قبل أشهر، في وقت كان هو يروي لها نهاية دزدمونة المسكينة على يدي عُطيل.

بقي رجل واحد.

أما هذا، فقد قتلها، وغطى وجهها الشاحب بآخر منديل من مناديلها المهداة.

PDF Eraser Free

ملوحة

لم تكن هيلة تعرف السـبب وراء هجر الرجل تلو الآخر لها بعد أول قبلة.

ظنت في البداية أن لفهما رائحة كريهة، أو أن ثمة عيب في شفتيها. إلا أن شـيئاً من ذلك لم يثبت بمرور الأعوام. وما زالت تبحث عن السـبب الغامض الذي نغص عليها عيشها حتى اكتشفته أخيراً.

حـدث ذلك حين سـألها آخر رجل بينما هو يبصـق ويعبر عن غضبه من طعم القُبلة اللاذع:

"من أين تأتين بكل ها الملح يا امرأة ؟"

فأجابته وفي عينيها قسم بألا تمتد يدها إلى عيني رجل أبداً بعد الآن:

"من كثرة ما مسحت من دموع الرجال !"

PDF Eraser Free

فتاة الليل

مهر فتاة غريبة الأطوار، لا تظهر إلا في الليل لتبيع الورد للعشاق على كورنيش البلدة ، وفي النهار تتحول إلى فراشة تجوب البساتين المحاذية لشط العرب. وبما أنها لا تظهر إلا في الليل، فقد راحت الألسن تحوك حولها الأقاويل، حتى نُعتت أخيراً بفتاة الليل.

"أما بيع الورد فليس سوى ذريعة لتخفي مهنتها الحقيرة !"

يقول بحار عاطل عن العمل، من أولئك الذين لا شغل لهم سوى اغتياب الناس، بينما هم ينتفون شعر آباطهم في مقهى بائس على ضفة الشط. الأمر الذي لم يكن" غريب" صياد السمك ليصدقه، أو أنه صدقه" إلا أن عين الرضا لا ترى عيباً" كما يقول شكسبير على لسان كاسياس، فقد كان يحبها، وتغيظه مغازلات المارة لها، ومحاولات البحارة لاستدراجها إلى مراكبهم. لكنه كان يعلم أن مهر لا تعبأ بكل ذلك.

في أحد الأيام، قرر" غريب" مصارحتها بحبه، وقدّر أن هدية يجلبها لها ستفي بالغرض، ويكون لها فعلها الساحر. فكّر بالكحل، فهو منذ أن رآها أول مرة لم ير كحلاً في عينيها. لكنه لن يفعل شيئاً من هذا، ما لم يعرف المزيد عن مهر، أين تغيب أثناء النهار ؟ أين تسكن ؟ وما هي ظروفها ؟ هل هي وحيدة أم متزوجة أم عزباء تعيش مع أهلها ؟ كان لا بد أن يعرف كل شيء عنها، لا يُعقل أن يتزوج من امرأة مجهولة.

وقبل شروق شمس أحد الأيام بساعة، تبع" غريب" الفتاة مهر،

PDF Eraser Free
وراح يسير في إثرها عبر الأزقة والدروب والحقول وعلى الجسور، حتى دخلـت مـن أجمة قصـب إلى غابة للنخيـل على الضفة الأخرى للشـط، حيث أضاع أثرها هناك، مما زاد في حيرته.

وفي طريـق عودتـه، أبهره منظـر اسراب الفراشـات في الغابة. كانت كثيرة إلى الحد الذي أشعره كما لو أنه في حلم، وتمنى لو كانت مهر برفقته.

عندئذ، خطرت له فكرة.

غـادر الغابة ثـم عاد إليهـا مسرعاً حامـلاً معه شـبكة وراح يصطاد بهـا الفراشـات. اصطادهـا جميعاً. ارتكب مجـزرة كبيرة ونكـب الطبيعة بفراشـاتها، لا لأجـل شيء سـوى اسـتخلاص الألـوان مـن أجنحتها، وجمعها في قارورة سيهديها لاحقاً إلى مهر، كحلاً لعينيها.

ثم عاد لينتظر بعدها حلول الليل ومجيء مهر الحبيبة بفارغ الصبر.

لكنها لم تأتِ.

ولن تأتِ أبداً.

PDF Eraser Free

موعد

أكثر ما أذهل أمل هي تلك الوردة الحمراء التي زرعها حبيبها في شعرها مساء ذلك اليوم.

كان يجلسان في مقهى خالٍ إلا منهما، بالإضافة إلى النادل الذي كان يختلس النظر، من وراء الكونتوار، على نحو بعث الريبة في نفسها. وفجأة، استأذن الحبيب بالخروج من المقهى لجلب غرض ما، علبة سجائر ربما. قال أن الأمر لن يستغرق سوى دقائق. إلا أن أكثر من ساعة مضت ولم يعد. انقضى المساء وقارب الليل على الانتصاف، وأمل ما زالت تنتظر، وقد أزاحت المزهرية أمامها على الطاولة، فندت آه خفيضة لم تعرف مصدرها. لكنها لم تأبه، فتوسدت يديها على الطاولة وأغفت. لتستيقظ بعدها على صوت يهمس في أذنها:

"لن يأتي !"

كان ذلك صوت النادل جاء من مكان قريب، حيث اتكأ على كرسيّ أمامها، وراح ينظر إليها كما لو أنه يراقب عملية تحوّل كافكوية وشيكة:

"هل ترين كل هذه المزهريات الموضوعة على الطاولات ؟ كل واحدة منها كانت امرأة تنتظر"

ارتعبت أمل. وضعت يدها على قلبها وهي تنظر حولها إلى مزهريات

PDF Eraser Free

الورود بقلق، بينما تابع النادل كلامه، ناصحاً إياها بالانصراف:

"بمقـدور الرجـل رغم قسـوته وسـاديته أن يصنـع مزهريات جميلة وحزينة كتلك التي ترينها.

يزرع وردة في شعر امرأة ويغادر!"

PDF Eraser Free

حنطة الوجه

كثيراً ما كان أسعد يتباهى بسمرته التي يختلف لونها، عما هو عليه بالنسبة للبقية من الشبان السمر. فقد كان محبوباً، من قبل فتيات المدارس، على نحو طالما أثار غيرة أقرانه في الحي.

إلا أن أسعد، لم يكن يعير أهمية لمغازلات الفتيات المسحورات بحنطة وجهه الفاتنة. ولم يرف قلبه يوماً إلا لنعيمة الخبازة، أم صديقه التي تصنع خبزاً لذيذاً في تنور طينيّ، وتبيعه على الأهالي. وكانت هذه مهنتها في زمن الحرب التي اختطفت زوجها.

كانت بطلة أحلامه وأفلامه التي يتخيلها قبل النوم. وكان إذا استيقظ صباحاً، تكون صورتها ملء عينيه. كان يبكي من أجلها، من أجل لمسة واحدة منها.

في أحد الأيام، كان أسعد يراجع دروسه بصحبة صديقه، في بيت الخبازة. فانتهز غياب ابنها لدقائق، ليعترف لها برغبته. كانت قد انتهت للتو من وجبة جديدة من الخبز، عندما استقبلت كلمات الحب والإطراء برحابة صدر، قبل أن تصفعه بقولها، بينما هي تتناول رغيفاً أسمر من الزبيل، وتلوح به أمامه، تضعه إلى جانب وجهه، وتبدو حينذاك كما لو أنها تعقد مقارنة بينهما:

"عفواً يا صغيري" تقول له:" عندي منك الكثير!"

PDF Eraser Free

أغنية

صباح كل يوم، يستيقظ ماجد من النوم، وثمة أغنية تغرغر في فمه، على نحو لا إرادي. في السرير، في الحمام، وعلى مائدة الإفطار.

الطبيب النفسي قال له، أنها ظاهرة متعلقة بالهلوسة، ورجح أنها بداية الجنون. في حين قال له رجل الدين، أنه الشيطان، يجري على لسانه مثل تلك الترهات، ليظِلّه.

عندئذ، وأيّاً كان التفسير وراء هذه الحالة، قرر ماجد الكف عن ترديد الأغاني، على هذا النحو. لكنه استيقظ، في صباح اليوم التالي، وهو يترنم بكلمات أغنية جديدة. تضايق كثيراً. ارتدى ثيابه، وخرج من بيته، وراح يتمشى بشكل عشوائي، دونما وجهة. حتى وجد نفسه في كورنيش المدينة. حيث لمح من بعيد امرأة تجلس وحيدة، على مصطبة بمواجهة الشط. اقترب منها، وجدها تبكي. جلس إلى جانبها وغنى:

"في هذا المستقبل العظيم لا يمكن نسيان ماضيك

ولذلك جففي دموعكِ"

فالتفتت المرأة إليه. مسحت دموعها وابتسمت قائلة:

"أظن أني سمعت هذه الكلمات من قبل.. هل هي أغنية ؟"

"نعم" أجاب ماجد، وكان يبتسم هو الآخر.

"ما اسمها ؟" سألته المرأة.

"لا يا امرأة لا تبكي" أجابها وهو يرمق الشط بنظرة ساهمة:" بوب مارلي !"

PDF Eraser Free

جميلة بوحيرد

اعتزلت بريجيت باردو التمثيل في عام 1972، تركت عالم الشهرة والأضواء والأموال، لتسخر حياتها من أجل الدفاع عن حقوق الحيوان. وكانت جميلة بوحيرد، قبل ذلك بثمانية عشر عاماً، قد تركت ولعها بتصميم الأزياء والرقص الكلاسيكي ورياضة ركوب الخيل، واعتزلت الحياة هي الأخرى، لتنخرط في صفوف الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، فسُجنت ونُفيت وعُذبت.

في إحدى الليالي، وبعد فترة طويلة مرت على ذلك، ولسبب يبدو غامضاً، لم تستطع المرأتان النوم.

خطر لبريجيت باردو أن تعد الخراف، إلى أن تغفو.

ارتدت منامتها.

لكنها لم تجد خروفاً واحداً قابلاً للعد. وكأن خراف العالم بأسره اختفت في تلك الليلة.

في الوقت نفسه، كانت الأضاحي من القتلى الجزائريين يتقافزون فوق رأس جميلة بوحيرد، التي عدّت منهم خلق كثير. وعلى الرغم من ذلك، لم تنم.

كانت تلك ليلة عيد الأضحى.

ليلة النحر العظيم !

PDF Eraser Free

الغراب

في أحـد الأيام، انتشـل مسـعود غراباً أبيـض، كادت أنياب ومخالب الـكلاب الضالـة أن تنهشـه على ضفة الشـط. كان مصابـاً بطلق ناري، فـأواه، وأطعمـه حتى تماثل للشـفاء. من النادر جـداً العثور على غراب بريش أبيض في تلك البقاع، وكان بإمكان مسعود بيعه في سوق الطيور، في البـصرة القديمـة، بالثمـن الذي يريـده، لكنه فضّل إطلاقـه بدلاً من ذلك.

إلا أن ذلـك الغراب عاد بعد سـاعة، ظل يحوم خلالها في الجوار، كما لو أنه فضل البقاء مع مسـعود، ليرد لـه جميله. الأمر الذي لم يجد الأخير إزاءه مانعاً، ما دام أنه يعيش وحيداً، في كوخ بعيد، يقع في أحد بسـاتين أبي الخصيب المنسية. كان لديه فكرة عن ذكاء الغربان، لكن هذا الغراب لم يكن ذكياً فحسب بل كان موهوباً إلى أبد حد. فآنسه في وحدته، وكان له خير رفيق، حتى أفضل من رفقة البشر. علّمه بعض الأشـياء، وتعلّم منه. واكتشف أن كل ما أُشيع عن كونه مصدر الشؤم هو مجرد خرافات. ألم يُعلّـم قابيـل كيف يدفن أخاه ؟ ألم يرسـله نوحاً ليسـتطلع اليابسـة ؟ فكيـف، إذن، يكون مصدر النحس، وذائـع أخبار الخراب ؟ هكذا كان يحاجج مسـعود المـارة، الذين يتطـيّرون من رؤية الطائـر الأبيض، وهو يتشمس على سطح الكوخ.

بمـرور الأيـام، وعـلى غير عـادة الغربـان المغرمـة بالحـليّ والملاعق والسـكاكين الصغيرة، اكتشـف مسـعود أن غرابه مولـع بسرقة الخِرق. ففي كل مرة يطير إلى جهة، يعود حاملاً بمنقاره خرقة.

PDF Eraser Free

خرقة ملطخة بسائل لزج، حين شمها علم أنها رائحة المحاص.

خرقة عليها بقع جافة تنبعث منها رائحة البول.

خرقة ملطخة بدم غامق، تنبعث منها رائحة الطمث.

خرقـة ملطخة بدم لونه فاتـح أقرب إلى الـوردي، تنبعث منه رائحة بكارة.

وهكذا، في كل مرة يجلب الغراب خرقة جديدة، يتعرف مسعود على رائحتها.

فالخرقة الملطخة بالقيء تنبعث منها رائحة الحمل.

والخرقة التي تحمل بقعاً بالكاد تُرى تفوح منها رائحة النفاس.

والخرقة التي تحمل بقعاً من اللبن تدل على الرضاعة.

خرقة واحدة لم تكن تحمل أي بقع. خمّن مسعود أنها كفن.

فقد كانت تنبعث منها رائحة الموت.

PDF Eraser Free

المرأة

بعد ثلاثة عشر عاماً مضت، على اختفاء الموز من الأسواق العراقية، أُتيح لجميلة أن تأكل أول موزة في حياتها.

هنا تحديداً، فقدت حاسة التذوق.

لم يستطع الأطباء تشخيص حالتها، قالوا أنها مؤقتة، وسرعان ما ستعود للاستمتاع بطعم الأشياء. إلا أن الأمر لم يكن كذلك، بل على العكس، كان يزداد سوءاً. فبمرور الزمن، فقدت جميلة حاسة الشم. لم تعد قادرة على تمييز الروائح. العطور، والأبخرة، والإنتانات، والغازات، وأنواع البخور.

أيضاً، وقف الطب عاجزاً أمام هذه الظاهرة الغريبة، التي أخذت تتطور شيئاً فشيئاً، حتى فقدت البنت في النهاية لونها.

صارت الحياة بالنسبة لها، من دون طعم، ولا لون، ولا رائحة.

وبينما هي تتهالك، كانت الأشياء من حولها تحيا وتنمو بها. البشر، والحيوان، والنباتات. كل شيء، كل شيء.

أصبحت ماءً.

PDF Eraser Free

قلب المرأة

كان هو أول من اقترح عليها الأمر.

في حين بدت هي، ولسبب غامض، مترددة. كأن هذا هو بالضبط، ما سيجلب لهما الشقاء في النهاية.

قال لها مهوّناً:

"إنها لعبة.. مجرد لعبة !"

"لكني..." رددت هي متبرمة:" أخشى عليك منها يا ملاكي !"

"ممن ؟" سألها.

صمتت قليلاً ثم قالت:

"من اللعبة طبعاً !"

وما زال يلح عليها، حتى وافقت أخيراً. اتفقا على أن يردد كل واحد منهما اسم الآخر في ساعة يحددانها. ومن يتعب أو يدركه النعاس، أو يتوقف لأي سبب كان، فسيخسر الرهان، وعليه أن يدفع الثمن مقابل ذلك، دعوة على العشاء، تذكرة سينما، نزهة، قُبلة، أو حتى وردة يغرسها هو في شعرها، في حال كان هو الخاسر.

اختارا وقت بعد منتصف الليل، الساعة الثانية عشرة. صعدا إلى سطح المنزل، وتمددا على فراشيهما، أحدهما بجنب الآخر، شبك كل واحد منهما يديه وجعلهما تحت رأسه. ثم بدءا التحدي، بينما هما يحدقان بالسماء، حيث النجوم تعكس التماعها في أعينهما العاشقة.

PDF Eraser Free

انقضت ساعة، وهما منهمكان في لعبتهما الغرامية، التي بدأت تفقد مرحها وترهقهما. هي تردد اسمه، وهو يفعل الشيء نفسه مع اسمها. خيّل لهما، في تلك الأثناء، أنهما كلما أمضيا وقتاً أطول، كلما ازدادت السماء نجوماً، والنجوم لمعاناً.

كانت نبرتها وهي تفعل ذلك، متوجسة، تشي بخوف دفين، خوف قديم وغامض، أيقظته لعبتهما التي بدأت تنحى منحى خطراً في الساعة الثانية. حاولت أن تعرف مم هي خائفة، لكنها خشيت أن تسهو، ويلهيها ذلك عن اللعبة، فتتلكأ وتخسر الرهان. أما هو فكان لصوته نبرة العاشق الواثق، الذي لم يضع في الحسبان أنه قد يتعثر في النهاية، يكبو، يغلط، غير مدركٍ أن غلطة العاشق بألف، وهو ما حدث في الساعة الثالثة. في حينها، بدا التعب واضحاً عليهما، إلا أن أياً منهما لم يستسلم بعد. بدا صوته كأنه ينبعث من قعر النعاس، أشبه بهذيان المرء وهو معلق بين اليقظة والنوم. في وقت، كانت هي تصدر صوتاً، كذاك الذي عادة ما يصنع ذروة الترقّب في الموسيقى التصويرية لمشهد ما. المشهد الذي يعثر فيه أحدهم على القاتل، اللحظة التي يُزال فيها القناع، وتُكشف الحقيقة. اللحظة الملعونة نفسها، التي أخطأ فيها وترنّم، لمرة واحدة، باسم امرأة أخرى بدلاً من اسمها. فتناهى ذلك الاسم إلى أذنيها بإحساس أمضّ عليها من الموت. اختفت النجوم فجأة، وأظلمت السماء، في عينيها على الأقل. حينئذ، علمت مم كانت خائفة. إنه الخوف نفسه، الذي انتابها قبل سنتين، حين حدثها عن المرأة التي سبقتها إليه. وبدلاً من أن تعزز صراحته وشفافيته ثقتها به، راحت تشعل في صدرها حرائق من الغيرة والخوف، لم يمحوهما شيئاً سوى ليلة الزفاف.

PDF Eraser Free

ولكي يرتق ما أحدثه من ثقب في قلبها، ظلّ يردد اسمها بقية عمره. في حين كفّت هي عن اللعب، واكتفت بمراقبة السماء كل ليلة.

هناك. في البعيد، في الأعالي الشاهقة، بين النجوم، وبعينين حزينتين، كانـت ترى ملاكاً خاطئاً، يحاول عبثـاً، أن يرتق الثقب الرهيب في طبقة الأوزون.

PDF Eraser Free

نزهه

في أحد الأيام. امرأة مع طفلها الذي يبلغ من العمر عاماً واحداً، رأت قردة وابنها الصغير، محبوسين في قفص كبير، ومعروضين للمتفرجين، في حديقة الحيوان.

المرأة والقردة كانتا تحملان طفليهما. كل واحدة منهما تشير إلى الأخرى بسبابتها، وتقول شيئاً لابنها. كانتا تبتسمان، أو تضحكان في تلك الأثناء، في مسعى واضح للترفيه عن الطفلين الكئيبين.

"انظر يا ملاكي.. القرد في عين أمه غزال !" تقول المرأة وتضحك.

"انظر يا غزالي.. الإنسان في عين أمه ملاك !" تقول القردة، تكشر عن أسنانها الصفر. وبملء فمها... تضحك.

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

أطفال

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

جزر القمر

"عميـاء كالخفاش في وضـح النهار، هي المدينةْ. والليـل زاد لها عماها"

بدر شاكر السياب.

في نهاية شهر آذار من عام 2012 أُعلن في التلفاز، أن رئيس جزر القمر سـيكون أول الواصلين إلى بغداد، للمشاركة في مؤتمر القمة العربية. وهذا يعني بطبيعة الحال أن حضر التجول سيبدأ قبل موعده المقرر.

احتقـن الجو العام، وامتعض الناس كثـيراً. ومن لم يذكر رئيس جزر القمر بسوء راح يبدي استياءه، متسائلاً عما أصاب هذا الرجل، ليأتي إلى بغداد في وقت أبكر من المعتاد، قبل انعقاد المؤتمر بثلاثة أيام. ليعلن بذلك عـن بدء معانـاة الأهـالي، وصعوبة تنقلهم، بسـبب مضاعفة الحراسـة، والانتشـار الأمنـي، ونقـاط التفتيش، وازديـاد الحواجـز الكونكريتية، وإغلاق الشوارع.

البعـض راح يتنـدّر قائلاً أنه جـاء ليعقد صفقة مـع الحكومة: النفط مقابـل الفانيليا والقرنفل وجوز الهند وأعشـاب الإيلانغ لانغ العطرية، وهـذه الأخيرة ستسـتعمل من أجل منافسـة معامل العطور الفرنسـية. والبعـض الآخر وجـد في مجيئه المبكر فرصـة لعطلة يقضيهـا في البيت. لكن الأغلب الأعم كانـوا متذمرين، وباتوا ينتظرون انتهاء القمة بصبر نافذ، حتى يتمكنوا من العودة إلى أعمالهم ومراجعاتهم.

وسـط كل هذا الضجيج والتنديد والتذمر واللغط الشعبي الواسع، وحدها سوزان، كانت متعاطفة مع رئيس جزر القمر، وحضوره المبكر

PDF Eraser Free

جداً. بل إنها راحت تنطّ فرحاً لحظة سماعها بالخبر. وكما لو أن العيد هو من سيحل غداً وليس رئيس جزر القمر، شرعت تردد بمرح طفولي، بينما هي ترفع نفسها واقفة على أطراف أصابعها، وتشبك يديها، ضامة إياهما إلى صدرها، وثمة ابتسامة لم تفارق وجهها منذ ذلك اليوم:

"رئيس جزر القمر سيأتي إلى بغداد !

رئيس جزر القمر سيأتي إلى بغداد !"

أخبرت جميع صديقاتها في الحي. تشابكت أيديهنّ، ودِرْنَ في حلقة، احتفاء بهذا القدوم المبارك. تخيّلت، للمرة الألف، كيف سيكون المشهد حينذاك، وأي طمأنينة ستعمّ المدينة بعد طول عناء وظلمة. صارت تحلم كثيراً بتلك البقع السمراء الواقعة في المحيط الهندي، على الساحل الشرقي لأفريقيا. وفي كل مرة تروي حلمها لجدتها، تفبرك هذه الجدة تفسيراً يتوافق مع ما كانت تأمل به، وتنتظر تحققه في القريب العاجل.

إلا أن أحداً من أفراد أسرتها لم يعرف السر وراء هذا التعاطف، وهناك من تساءل: لماذا هي محتفية بهذه الشخصية السمراء من دون البقية من رؤساء وملوك ؟ وماذا تعرف طفلة بعمر الخامسة عن جزر القمر ورئيسها، لكي تتحمس للأمر بهذا الشكل، الذي لم يجد في النهاية من يعبأ به، أو يأخذه على محمل الجد، ما دام أنه صادر من طفلة، ليس ثمة من يشك في أنها تجهل حتى موقع هذه الدولة على خريطة العالم.

لكن سوزان، في عشية فرض حضر التجول، أثناء ما كانت الكهرباء مقطوعة، والظلام يلفّ العاصمة الحزينة، ما تزال تأمل أن يهبط الرئيس ذو الوجه البُني الغامق بصحنه الفضائي، في المطار. جالباً معه ما يكفي من ضوء القمر، لإنارة شوارع بغداد المعتمة.

PDF Eraser Free

الشبح

استخدمت الولايات المتحدة طائرة الشبح، في حرب الخليج الثانية، عام 1991. وأشيع أن بإمكانها رؤية أي ضوء على سطح الأرض، مهما كان صغيراً، بما في ذلك جمرة السيجارة، واعتباره هدفاً لصواريخها المشعّة. لهذا، يسارع السكان إلى إطفاء الفوانيس، ومصابيح اللوكس، والشموع، التي كثُر استخدامها في تلك الفترة، كلما سمعوا صافرة الإنذار، وهي تنعب مثل غراب، منبئة عن غارة جوية جديدة، تشنها الطائرات من ذلك النوع المرعب. الأمر الذي يزداد في إثره خوف ليلى، ذات الأعوام الأربعة، التي لن تشعر بالأمان ما دامت أضواء البيت مطفأة. تتكوّر في حضن والدتها، مغمضة عينيها، صامة أذنيها بسبابتيها، وتتخيل مشهد الشبح العملاق الحائم، وهو يخترق الجدران والسقوف، ويتسلل من خلال النوافذ إلى فراشها ليرعبها.

وذات مساء، أبكرت فيه العتمة بإلقاء ظلالها الثقيلة، بسبب الغيوم الرمادية التي خيّمت على المدينة الكئيبة والمدمرة، سألت ليلى والدتها، عن السبب وراء إطفاء الأنوار، كلما سمعت دوي طائرة الشبح. فاحتارت الأم أي إجابة تقدمها، ويكون بإمكانها إشباع فضول ابنتها، التي ازداد إلحاحها بمرور الأيام وتوقها إلى معرفة السبب. كانت تسأل كل من تصادفه في البيت من أفراد الأسرة. تعترض على إطفاء الأنوار، في وقت ما زالت طائرة الشبح المخيفة تحوم في الجوار، ناشرة رعبها في أرجاء المدينة. إلا أن أحداً منهم لم يكن يملك جواباً مقنعاً يجعلها تكفّ عن لجاجتها، التي استمرت على نحو طالما كان مدعاة لانزعاجهم.

PDF Eraser Free

كان سـؤالاً مؤرقـاً بالنسـبة لطفلة بعمرهـا، لكن لا بد مـن إجابة في النهاية.

"لكي لا يراها الشبح !" قالت الأم أخيراً.

إلا أن ليـلى لم تقنعهـا تلك الإجابـة. تظن أن ثمة خطـأ يرتكبه أهلها وبقية السكان في المدينة، وعليها أن تصلحه.

وفي إحدى تلك الليالي المظلمة والباردة من شـهر شـباط، كان التيار الكهربائـي مقطوعاً كالعادة، تناهى إلى سـمع ليلى دوي طائرة الشـبح، وهـي تجوب السـماء، وتبحث عن أهدافها. وعلى الفـور، كما هي العادة منذ بدء الحرب، هُرعت الأم إلى إطفاء الشـموع التي كانت قد أشعلتها مـع حلـول الغروب. حينئذ، كانت ليلى تراقب المشـهد مـن مكانها على الكنبة، في الصالة، بعينين مشدودتين. لكنها، ويحدث ذلك للمرة الأولى، لم تسـأل والدتها عن السبب، لم تلُذ في حضنها وتتكور بجسدها الضئيل مثل قطة مذعورة، لم تغلق عينيها أو تصم أذنيها. إنما كانت على العكس مـن ذلـك تماماً، بدت كأنهـا تنتظر هـذه اللحظة بفارغ الصـبر، لتنفذ ما تبـادر في ذهنها في ذلك الحـين. وبدلاً من الالتحاق بأفراد الأسرة، تحت السـلم الكونكريتي، حيث يحشر الجميع أجسـادهم هناك، ظناً منهم أنه سـيحميهم إذا مـا انهار السـقف، جـراء القصف العنيـف، راحت ليلى تتلمس الطريق إلى غرفتها وسـط الظلام، حتى وصلت إليها، وأغلقت الباب.

اشـتد القصـف، وصـمّ دويّ طائـرة، بـدت كـما لو أنها تحـوم حول المنـزل، آذان أفـراد الأسرة، الذيـن تعالت أصواتهم بالدعـاء والابتهال تحت السـلم. افتقدت الأم ابنتها الغائبـة، وشرعت بالصراخ ومناداتها،

PDF Eraser Free
لكن من دون جدوى. فقد كانت ليلى، في تلك الأثناء، مشغولة بإصلاح الخطأ في غرفتها.

حين دخلوا عليها، بعد انتهاء الغارة، وجدوها مقرفصة على سريرها، بإزاء شمعة وضعتها في صحن خزفي. كانت صامتة، شاردة الذهن، ولا تحيد بنظرها عن الشمعة المضيئة. أراد الأب أن يوبخها على ما فعلته، لكن الأم كانت أكثر حكمة وتعقلاً، فمنعته من ذلك واحتضنتها. وبينما هي تمسّد رأسها سألتها:

"لماذا فعلتِ هذا يا ابنتي ؟"

نظرت ليلى إلى النافذة على يسارها، وقالت بصوت متهجّد:

"تخاف الأشباح من النور !"

في صباح اليوم التالي، أثناء الإفطار، كان على الجميع الإصغاء لليلى، وهي تروي لهم أحداث الليلة الماضية.

"لأول مرة أرى شبحاً أسود بهذا الحجم !" تقول ذاهلة، وهي ترسم دائرة بيديها:" كنت أظن أن الأشباح بيضاء كما تظهر في أفلام الكرتون. لقد أخبرت ذلك الشبح الضخم والمخيف أن يبتعد عن منزلنا، وبمجرد أن أشعلت الشمعة لاذ بالفرار !"

يضحك الجميع، باستثناء الأب الذي انزوى جانباً، وراح يستمع إلى الراديو باهتمام:

"انتهت الحرب !"

PDF Eraser Free

جالب الكرات

منـذ انضمامه إلى فريـق الطلقة الذهبية، وحمود الأعـرج لا يعدو عن كونه جالب كرات بائس.

كان يقـف خلف المرمى، ينتظـر الكرات الطائشـة، ليحجل وراءها كالغـراب ويعيدها إلى سـاحة الكرة. وهو أقصى مـا أمكن للمدرب أن يكلفـه بـه، إذ كان يرى فيه مجرد فقمة، أكثر منـه لاعباً قادراً على خوض مباراة. الأمر الذي كان يشعر حياله بالغبن، فعلى الرغم من عوقه، لكنه كان مؤمـن بقدراته ومهاراتـه في لعب الكرة، وما زال يأمل أن يأتي يوماً يثبـت فيـه للجميع أنه لا يقل براعـة منهم. كانت تلـك أمنيته، ولم يكن يمانـع إذا ما أشركه المـدرب لدقائق معدودة، يُظهر خلالها شـيئاً مما كان يجهلـه رفاقه في الفريق. إلا أن ذلك لم يحـدث طيلة عام كامل، لم ينل فيه فرصة، وإن تكن ضئيلة، في اللعب.

ومـا زال حمود يلح على المـدرب من أجل منحه الفرصة، حتى وعده أخـيراً بإشراكـه في المبـاراة القادمة، التي سـتجري بالتزامـن مع توقيت مبـاراة يخوضهـا لاعبـه المفضل أمـام أحد الأنديـة الكـبرى. سُرّ كثيراً، كاد أن يطـير مـن الفرح، وبدأ اسـتعداداته في وقت مبكر. كان يسـتيقظ صباحاً، ويجري في ساحة الكرة، ويتمرن لساعات طويلة. لم يبتئس حين علـم أن لاعبه المفضل سـيخوض مباراة الكلاسـيكو في الوقت نفسـه، وفضّـل ألا يتخلّـف عن مبـاراة فريقه، التي سيشـترك فيهـا لأول مرة، ليغـادر بعدها مكانه خلف المرمى، حيث اعتـاد الوقوف هناك، بانتظار الكرات الطائشة.

PDF Eraser Free

يعشق حمود لاعبه العالمي المفضل إلى درجة الهوس. يتتبع أخباره، يجمع صوره، يواظب على مشاهدة المباريات التي يشارك فيها، وتُنقل على شاشة التلفاز، ويتمنى مقابلته يوماً. لكنه، لا يأمل في جلب كراته على أية حال، لأنه نادراً ما يسدد كرة طائشة، في حين تجد البقية من كراته طريقها إلى المرمى بحرفية عالية. ومع ذلك، سيكون له الشرف الكبير، في أن يحظى بتلك الفرصة الثمينة، التي سينتهزها بالتأكيد، ويصافح لاعبه المفضل، وربما يوقع له اسمه على فانيلة الفريق الذي يشجّعه.

جاء اليوم الموعود. كنت أود لو أشاهد حمود، وهو يخوض المباراة الأولى في حياته. لكني كنت على العكس منه، فقد آثرت مشاهدة مباراة الكلاسيكو التي يلعب فيها لاعبه العالمي المفضّل.

وبينما كنت أشاهد تلك المباراة على شاشة التلفاز، وصلتني رسالة مؤلمة عن طريق الهاتف النقال تقول:

"مات حمود.. مات جالب الكرات !"

صدمني الخبر، وبت أتساءل عما حدث لهذا الصبي، وكيف مات. ربما لم تسعه فرحة خوضه مباراته المصيرية، أو أنه تعرّض لإصابة بالغة فارق الحياة في إثرها، أو أنه لم ينجح في استعراض مهاراته المزعومة، وفشل في جذب الانتباه، وحين لم يحتمل سخرية المتفرجين، مات بالسكنة القلبية، أو أنه تشاجر مع لاعبي الفريق الخصم، فطُعن بسكين أو شجوا رأسه بحجر، كما يحدث عادة في مباريات الفرق الشعبية. اتصلت بالمتصل لاستعلم منه، وكان صديقاً لي، دائماً ما نقضي فراغنا معاً بالفرجة في ساحة الكرة القريبة. قال أن حمود دهسته سيارة. المسكين، لقد أخلف المدرب وعده له، ولم يشركه في المباراة، فعاد صاغراً إلى مكانه خلف

PDF Eraser Free

المرمى. وقبل نهاية المباراة، حين كان فريقه متأخراً بهدف، وبدلاً من إعادة إحدى الكرات الطائشة إلى ساحة اللعب، هرب بها بعيداً، تتبعه شتائم اللاعبين وتهديداتهم وبصاقهم. كانوا ينعتونه بالأعرج الفاشل ويقذفونه بالأحجار. وبينما هو في طريقه إلى عبور الشارع دهسته سيارة، ومات على الفور.

ربما شعر بالسأم من اضطلاعه المزعج بدور جالب الكرات وأراد أن يحتجّ. لكن آه، انظروا أ إلى أين دفعه طيشه.

في التلفاز، ولا أعرف إن حدث ذلك حقاً أم أنه خُيّل لي، كان لاعب حمود المفضل يراوغ لاعباً تلو آخر بمهارة، حتى إذا انفرد بحارس مرمى الخصم وصار بمواجهة المرمى، سدد رمية طائشة وعشوائية، كما لو أنه فعل ذلك متعمداً. بدليل أنه وقف في مكانه متخصراً، مبتسماً لصبيّ أعرج يجري نحوه، حاملاً كرته الطائشة تلك، وسط زعيق الجمهور الغاضب وأسفهم على الهدف الضائع.

PDF Eraser Free

الحذاء

في الوقت الذي لم يكن هناك مدارس خاصة للصم والبكم في البصرة، وجد محمود نفسه في مدرسة للتلاميذ الخالين من العاهات، الذين لا يملك أمام مشاكساتهم المزعجة وتنمرهم واستفزازاتهم الدائمة سوى الحذاء. يخلعه، ويلّوح به، ولسان حاله يردد بإشارات مرتبكة، بكماء، الشتيمة الأكثر تداولاً بين العراقيين.

كان في العاشرة من عمره، ورغم أنه أبكم، لكنه فتى ذكي، متفوق في الدراسة. طالما جلبت علاماته العالية المشاكل له، إذ تجعله موضع حسدهم، فيقع فريسة تنمرهم بسببها. إلا أن ذلك لا يحدث دائماً، فقد يحتاجونه في حلّ بعض المعضلات الدراسية، قبل الامتحانات وخلالها. غير أنهم سرعان ما يعودون إلى مضايقته، ما أن ينتهي كل شيء، ويكون، عندئذ، جاهزاً للاستفزاز. يفتعلون المقالب ضده، يضعون في جيبه فأراً ميتاً. أو يكتبون شتيمة في ورقة ويلصقونها على ظهره. أو، في أبسط الأحوال، يجبرونه على العودة إلى المنزل بفردة حذاء واحدة. أما هو، فقلما يقاومهم بما يُتاح له من قدرة إما على التحمل والمضي في طريقه بغير اكتراث، أو المواجهة والانتفاض، فيضرب هذا، ويبصق على ذاك. وفي النهاية، يخلع حذاءه ويلوّح به في وجوههم، ليكون ذلك بمثابة الشتيمة التي تشملهم جميعاً.

في أحد الأيام، أثناء درس الرياضة، الذي لا يُعبأ به كثيراً في العراق بالإضافة الى درس التربية الفنية، خطر للمعلم، الذي يرتدي ثياب المنتخب الوطني الخضر، ويتباهى بشغله مركز الظهير الأيمن في نادي

PDF Eraser Free
الميناء لعدة سنوات، وبتوقيع كلاً من زيكو وسقراط اللذين كانا ضمن تشكيلة نادي فلامنغو البرازيلي عندما لعب في بغداد، خطر له أن يبتكر شيئاً جديداً، كأن يختبر معلومات التلاميذ، ويشحذ ثقافتهم الرياضية، بدلاً من ركل الكرة في ساحة المدرسة الموحلة. فبدأ بتوجيه الأسئلة إليهم، وكان سؤاله الأول: من هي المنتخبات التي فازت بكأس العالم لكرة القدم أربع مرات.

هتف أحدهم:" البرازيل !"

"جواب صحيح"

وقال آخر:" ألمانيا !"

"أحسنت !"

إلا أن أحداً لم يتوصل بعد إلى هوية المنتخب الثالث. أحد التلاميذ قال إنها انكلترا، وقال آخر إنها إسبانيا، في حين أصر الثالث على إنها الأرجنتين. وردد البقية: الصين، المكسيك، مصر، هولندا، روسيا، بلجيكا، فرنسا، أمريكا. وكان كلما أدلى تلميذ بإجابته، يهز المعلم رأسه نافياً أن تكون هذه الدولة أو تلك قد حازت على كأس العالم أربع مرات. حتى انبرى تلميذ ببشرة سمراء داكنة وشعر منكوش، يجلس في آخر الفصل، قائلا:

"موزمبيق !"

مما أثار موجة من الضحك والسخرية، أوقفها أخيراً المعلم الذي عرض مكافأة، هي عبارة عن كرة، يمنحها لمن يعثر على الإجابة المطلوبة. حينئذ، بدأت الانظار تتجه إلى محمود.

PDF Eraser Free

"ذلك الفتى الأبكم يعرف أشياء كثيرة".

همس أحدهم في أذن زميله. وحاول البعض استمالته ليعطيه رأس الخيط. لكن محمود، الذي تبيّن حقاً أنه يعرف الإجابة، قرر أن يحصل على المكافأة.

فجأة، ومن دون التفكير بعواقب فعله، ورغم أنه كان قادر على الكتابة في ورقة وعرضها، كما يفعل دائماً، في كل مرة يريد إيصال إجابته إلى المعلمين، خلع محمود حذاءه وراح يلوّح به أمام المعلم، بينما هو يبتسم منتشياً بإصابته الهدف الذي عجز عن بلوغه أكثر من ثلاثين تلميذاً في الفصل.

لكنه، وبدلاً من مكافئته، والإشادة بشطارته وسعة اطلاعه، ومع أن الإجابة كانت صحيحة ولا غبار عليها، إلا أن محمود حصل، في ذلك اليوم، على أكثر العقوبات إهانة في حياته. فعلى ما يبدو أن المعلم تلقى إجابته تلك بشكل سيء، جعله يرعد ويزبد ويستشيط غضباً، ويتوجه نحوه ليتناول الحذاء منه، ويضربه به في كل مكان، على رأسه، على قفاه، على ساقيه وذراعيه ومؤخرته، حتى كادت أن تتمزّق على جسده النحيل، تلك البلاد البعيدة...

تلك البلاد الجميلة والسعيدة المسماة إيطاليا.

PDF Eraser Free

مكسيكو 86

رغـم أن صوته لم يصل إلى الفيفا، وربما لن يصل أبداً. إلا أن تحسـين ما زال يدعم منذ سـنوات عديدة، وبشـدة وحماسـة، مسـاعي المكسيك لتنظيم كأس العالم للمرة الثالثة.

ففـي عام 1986، بين حمى كرة القدم المشـتعلة، بعـد تأهل المنتخب العراقـي إلى مكسـيكو 86 ، وبـين نـيران المعـارك الطاحنة بـين العراق وإيـران على طول الشريط الحدودي بين البلدين المتناحرين، وصل خبر أسر الإيرانيين لوالد تحسين الذي كان في عامه السادس حينذاك.

مرت أشـهر وتحسـين يفتقـد والده. يسـأل أمه عنه، ويلـح عليها أن تخـبره بمكانه. وحـدث في أحد الأيـام أن دفعته الأم المنكوبـة إلى عمه، الذي كان يستمع وقتها إلى مباراة العراق والمكسيك من الراديو.

كان المعلـق يزعـق معترضاً على إلغاء الحكم لهـدف عراقي في مرمى البارغواي. يشـتم ويبصق ويكاد أن يهشـم الراديو، عندما لكزه تحسين سائلاً إياه، وهناك دمعة تكاد أن تطفر من عينيه:

"أين هو أبي يا عم ؟"

"في المكسيك !"

قال العم المهووس بكرة القدم. لكنه لم يفلت بجوابه المجاني هذا من إلحاح الولد اللجوج، الذي عاد وسأله:

"ومتى يعود ؟"

PDF Eraser Free

لم يتلق تحسين جواباً هذه المرة. فقد هشّم العم الراديو فعلاً. قذفه بقوة فارتطم بالحائط وتناثر قطعاً، وتناثر معه صوت المغنية ربيعة البصرية، وهي تصدح مثل عصفورة سوداء:

هلا هلا هيه .. هلا هلا هيه !"

منذ ذلك الوقت، وتحسين يرتدي تراكسود أخضر، ويردد كلمات تلك الأغنية، داعماً بشدة وبالحماسة نفسها، حق المكسيك في استضافة كأس العالم للمرة الثالثة.

PDF Eraser Free

متلازمة

تعتني كفاح بابنتها المصابة بمتلازمة داون. أو حسب ما اصطلح عليه قبل هذه التسمية، تُعد ذهب فتاة منغولية.

كانت تحممها، وتعطرها. تلاعبها، وتلاطفها. تمشط شعرها وتضفره، وتتأمل شكلها النهائي عن بعد، وثمة ابتسامة مشفقة تغمر وجهها، بينما هي تدعوها، قائلة بفرح:

"إليّ.. يا أجمل فتاة في العالم !"

ورغم حالتها الخاصة، لم تسلم ذهب من غيرة شقيقتها، سارة، التي تكبرها بعام واحد. بدأ الأمر بعد فترة وجيزة من الولادة، عندما ظهرت بوادر المتلازمة المرضية على الطفلة الصغيرة، من خلال ملامحها وسلوكها المختلف عما هو عليه الحال، بالنسبة لطفلة طبيعية. منذ ذلك الوقت، وهي تحوز على كامل اهتمام وتدليل والدتها. وهذا لا يعني، بطبيعة الحال، أن الأم كانت تترك سارة عرضة للإهمال، لكن الضرورة حكمت بأن تنال الطفلة الصغرى رعاية خاصة، وهو الأمر الذي لا تريد الأخت الكبرى أن تفهمه.

في سن السادسة، وبدافع الغيرة الطفولية العمياء، سألت سارة والدتها بحنق، أثناء حفل عيد ميلاد شقيقتها المنغولية، الذي دُعي إليه مجموعة من زملاءها وزميلاتها في المدرسة، التي

PDF Eraser Free
تُعنى بذوي الاحتياجات الخاصة، وكانوا جميعهم من المصابين بمتلازمة داون.

"لماذا لم يبعث الله بكل هؤلاء إلى بلدهم الأصلي منذ البداية ؟!"

ذلك أنها علمت، أن ثمة مكان في هذا العالم، لا يكاد يُذكر، يُسمى منغوليا.

PDF Eraser Free

الغمازة

في صباح أحد الأيام، استيقظت شمس من نومها متجهمة، كئيبة، بسبب كابوس مزعج. وكالعادة، أول ما فعلته أنها نظرت إلى وجهها في المرآة. عندئذ أفزعها المشهد.

حزنت، وبكت، واسترعى ذلك انتباه القبّرات التي تحط، في مثل هذا الوقت، على حافة نافذتها المطلة على حديقة وارفة. سألتها إحدى القبّرات عما يحزنها، فأخبرتها هذه قائلة بحزن:

"اختفت غمازتيّ !"

قبّرة أخرى قالت، وقد حطت على كتفها:

"ربما سرقها أحدهم !"

"حقاً ؟" قالت شمس مندهشة:" ومن يكون السارق يا ترى ؟"

"نحن القبّرات سنكتشفه" قالت قبّرة ثالثة:" وسنساعدك على استعادة غمازتيك"

قضت القبّرات اليوم بأكمله، في محاولات لا طائل منها، لاستعادة غمازتي شمس، التي كانت تنفخ، في تلك الاثناء، خديها وتغرس سبابتيها فيهما، لتترك أثر انبعاج خفيف على الجلد الناعم المتورد، فيبدو كغمازتين سرعان ما تختفيان، مخلفتان حسرة راحت تطلقها الفتاة بألم.

حل المساء، ولم تعثر القبّرات على شيء، فعادت إلى أعشاشها، على أمل معاودة المحاولة غداً.

PDF Eraser Free

في صباح اليوم التالي، عندما عادت تلك الفتيات لاستئناف البحث، فوجئت بشمس وهي تطل من خلال النافذة، وقد استعادت غمازتيها.

وعندما سُئلت عن كيفية استعادتها لتلكما الغمازتين، قالت:

"لم أفعل شيئاً، ابتسمت فقط"

PDF Eraser Free

من دون كلام

لم تكـن هدى خرسـاء حتى وقعت في غرام ابـن الجيران، المدعو بيبو عـلى سـبيل الدلع. فمنـذ أن كان عمره شـهراً، وهذا الاسـم ملتصق به التصاق القملة في الإبط.

كان يكبرهـا بعام واحـد. وكانت هي خجولة جـداً. وإذا كان هناك مـا هو أصعب مـن الاسـتيقاظ المبكر مـن النـوم، ودرس الرياضيات، والإحساس المزعج بألم الدورة الشهرية للمرة الأولى، فهو الوقوف أمام بيبـو، والاعتراف له بحبها. لذا، قـررت أن تفعل ذلك من دون الحاجة إلى كلام.

وقفـت أمامه في أحد الأيام، في الوقت الذي اعتادا أن يكونا معاً، في حديقـة بيت أحدهمـا، للمطالعة وتحضير الـدروس. وضعت يدها على قلبهـا، بينما هي تبتسـم بخجل. ثم أشـارت بسـبابتها نحوه، ورسـمت بيديهـا دائـرة في الهواء، في حركـة واضحة، الغاية منهـا إيصال فكرة أنها تحبه، وحبها له بحجم العالم.

راقـت الفكـرة لبيبـو، الـذي كان غبيـاً بـما يكفـي، ليظـن أن هدى تريـد اللعب. فقد سـبق وأن شـاهد برنامجاً تلفزيونياً، يتعـرف فيه ثلاثة أشخاص من المشاهير، على عناوين لأفلام ومسلسلات، من خلال لغة الإشارات التي يرسلها زميلهم الرابع.

كانت هدى تعيد حركاتها، وتكرر إشـاراتها، وتركز على وضع يدها على القلب. تفعل ذلك بهدوء مرة، وبنفاذ صبر مرة أخرى. وقد كررت

PDF Eraser Free
ذلك عشرات المرات، لكن من دون فائدة تُذكر. في حين كان بيبو يفكر، ويخمن، ويحاول التعرف على ما يظنه عناوين لأفلام سينمائية سبق وأن شاهدها. فكانت الخيبة ترتسم على وجه هدى، كلما ذكر عنوان فيلم يظن أنها تقصده: القلب الشجاع، فاندام قلب الأسد، قلب الظلام، قلبي دليلي، قلبي دق، قلب شجاع، قلب المرأة، رد قلبي إلخ...

عندئذ، طفح بها الكيل، وأرادت أن تقذف اعترافها في وجهه علانية، وبصوت عال. لكنها لم تستطع.

ولم تتكلم بعدها أبداً، لا معه ولا مع غيره.

PDF Eraser Free

هوري
إلى كارين ارشبوير

رمزان يحملهما الأرمني طوال حياته كصليبين يوشمان قلبه: سايات نوفا وجبل أرارات.

في البصرة، عندما بلغت هوري الخامسة من عمرها، سألت أمها: من هذا ؟ وكانت تشير بسبابتها إلى بورتريه رجل بلحية وشارب، يرتدي ثياباً من العصر القروسطي، يجلس إلى طاولة بجانب نافذة تطل على حديقة. وكان يمسك آلة موسيقية أقرب إلى السانتوري، ويكتب بيده الأخرى، على ما يبدو، قصيدة.

"هذا سايات نوفا" قالت الأم وهي تغرس أصابعها المنمّشة في شعر ابنتها المتثائبة:" مسيحنا المغني وأعظم زجال في أمة الأرمن" ثم حفظتها مقطعاً من شعره قبل أن تنام.

في الليلة التالية، سألت هوري أمها:

"ما اسم هذا الجبل ؟"

وقد أشارت إلى سجادة من عمل جدتها لأبيها، معلقة على الجدار أمامها، يظهر فيها جبل أرارات بقمتيه البيضاويتين ماسيس الكبير وماسيس الصغير.

"هذا أرارات" قالت الأم:" بركان نائم.. إنه مرسى نوح وموطن حفيده، أبانا القومي هايك العظيم"

PDF Eraser Free

ثم تمنت الأم لابنتها ليلة سعيدة وأحلاماً وردية. إلا أن هوري، سرعان ما عادت لتسألها، وقد طارت نومتها:

"هل قلتِ إنه بركان نائم يا أمي ؟"

"نعم" أجابتها الأم.

"ولكن" قالت هوري وقد برطمت، كما لو أنها على وشك البكاء:

"بماذا تحلم البراكين النائمة ؟!"

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

شعراء

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

لحية والت ويتمان

في أحـد الأيـام، وكان يـوم الفالنتـين، كانـت السـماء مزينـة بغيـوم بيض كمناديل الملائكة. جلس زيد على إحدى المقاعد الخشـبية، في إحدى الحدائق العامـة، بمواجهـة النهـر، وراح يلهـي نفسـه بقـراءة أوراق العشـب لوالت ويتمان، عندما جلس إلى جانبه رجل ثمانيني العمر، أشـيب، يعتمر قبعة جوخ أمريكيـة، وكانـت لحيته بيضاء طويلـة، خيّل لزيد أن مجموعة من الفراشـات كانت تحوم على مقربة منها، وأحياناً تحط عليها أو تخرج منها.

"إنهم يحلقون الحدائق !"

قال الرجل العجوز متأسفاً. فتأمله زيد للحظات، وقد سحرته العبارة فسأله:

"هل أنت شاعر ؟"

تفكّر الرجل العجوز ذو اللحية السـحرية التي تطلق الفراشات قليلاً، ثم ضيّق عينيه قائلاً:

"لماذا تظن أنني شاعر ؟"

"عبارتك !" ردّ زيد:" لا يمكن لأحد أن يقولها إلا إذا كان شاعراً !"

"آه:" تـأوه الرجـل العجـوز، حاكاً رأسـه من تحـت القبعـة:" لكنهم حقاً يحلقون الحدائق.. انظر خلفك"

التفـت زيد خلفه، فرأى هناك عدداً من الأشـخاص بلحى طويلة وثياب سـود، يقتلعون الأشجار في الحديقة. صُعق من المشهد. راح ينظر بغضب إلى أولئك الأشخاص وهم يقطعون الأشجار، لكي لا تسنح الفرصة لحبيبين أن يتبادلا قبلة وراء شجرة.

"أليس غريباً ؟ أن يحلقون الحدائق ويطيلون لحاهم ؟!"

قال زيد بنبرة كئيبة، محبطة. فسـأله العجوز، على نحو حاول ألا يظهر من

PDF Eraser Free
خلاله بمظهر المتطفل، إن كان له حبيبة. فأومأ زيد منكسا رأسه بـ نعم، وقال إن اليوم عند المساء موعدهما هنا في الحديقة.

"لكن، أنت أيضاً لديك لحية !" قال زيد بنبرة جافة بينما هو يبتعد عنه.

ابتسم الرجل العجوز هازاً رأسه بحكمة ووقار، وقد غرس أصابعه الكهلة، المرتعشة، في لحيته، فطارت منها جوقة جديدة من الفراشات ذات الألوان الزاهية. قال:

"مثلما أن أصابعك ليست سواء، كذلك هي اللحى يا صديقي" صمت قليلاً، ثم تابع بالنبرة نفسها:" خذ أفلاطون مثلاً، طاغور، تولستوي، همنغواي، و...."

"ووالت ويتمان !" قاطعه زيد محتفياً.

فردد الرجل العجوز مفاكهاً، وقد برز صدره ونظر إلى الأمام كما لو أنه يتلقى تحية عسكرية:" ووالت ويتمان !"

استغرق الاثنان في حديثهما عن ويتمان. وبينما هما على هذا الحال، كانت لحية الرجل العجوز تزداد طولاً، ويزداد معها عدد الفراشات كلما غرس أصابعه فيها. لم يلحظ زيد ذلك، فقد كان مأخوذاً بالحديث عن شاعره المفضل. حل المساء وهما على هذا الإيقاع، ولحية والت ويتمان تنمو بإطراد، وتغزو الحديقة، وتنتشر في كل مكان مثل طحلب أبيض. تلتف حول البنايات، وأعمدة الإنارة. تغلف الأراجيح وألعاب الأطفال، وتشكّل نفسها بهيئة أشجار كبيرة تشغل مساحات واسعة، وتطلق الفراشات على مختلف أنواعها وأشكالها وألوانها. حينذاك، بدأ العشاق بالتسلل إلى الحديقة. لم يجدوا صعوبة في اختراق تلك الكتل البيضاء الناصعة، المخملية الناعمة. وكان الحديث عن ويتمان قد بلغ نهايته في ذلك الحين، فانتبه زيد إلى العالم السحري الأبيض من حوله مندهشاً. التفت ليسأل الرجل العجوز عمّا يجري، لكنه لم يجده. فقد غادر الحديقة تاركاً لحيته الهائلة ملاذاً للعشاق.

PDF Eraser Free

شباك وفيقة

لا تتذكـر وفيقـة، الموظفـة المصرفيـة، يومـاً غازلهـا فيه رجـل. رغم أنها ليسـت قبيحة إنما متوسـطة الجـمال وانيقة نوعاً ما. تضع احمر شـفاه مارلينـي غامـق وتفـرط في الكحل، على نحـو كانت تأمـل أن يثير أحد أولئك المتغنين بالأعين الكحيلة، ليسمعها كلاماً ناعماً ومنمقاً.

وما زالت وفيقة تتنقل من بنك إلى آخر حتى انتهت، في سن الأربعين، إلى البنـك المركـزي العراقـي، فرع البـصرة. في غرفة في الطابـق الرابع، بجوار نافذة تطل على كورنيش العشـار، حيث ينتصب في الأسفل، على ضفة شط العرب، تمثال الشاعر بدر شاكر السياب.

هناك، وعبر تلك النافذة، تلقت وفيقة أول مغازلة شعرية في حياتها.

PDF Eraser Free

التمساح

بعـد كل نوبة تعذيب، يتعرض لها فلاح المتهم بجنحة سياسـية، على يـد جلّاد مقنّع، يأتيه أحد السـجانين، وكله شـفقة. يحمل بيـده إناء فيه طعـام، وإناء آخر للشراب. يطعمه، يسـقيه، وبلطـف مبالغ فيه، يطلب منه كتابة رسالة حب إلى حبيبته.

ورداً للجميل، يملي فلاح على السجان بعض الكلمات الرقيقة، التي استطاعت أخيراً أن تجذب تلك المرأة إليه ويتزوج منها.

في ليلـة الزفاف، سـألت المرأة زوجها السـجان عن فـلاح المغيب في ظلمـة السـجون الانفرادية، منـذ عامين. فقال لهـا، بينما هـو ينظر إليها بعينين دامعتين:

"مات من التعذيب"

"لماذا قتلته هذه المرة ؟!" سألته الزوجة.

"إنه شاعر !" أجابها السجّان – الجلاد بنبرة غاضبة، متشفية:

"شاعر يا امرأة !"

PDF Eraser Free

تخاطر

فجـأة، انتبهت عبـير إلى النجمة التي سـقطت في حضنهـا، بينما هي تمشـط شعرها قبل أن تنام. نجمة جميلة وبراقة، كانت مدعاة لاستغراب ودهشـة الفتـاة، التي راحـت تتلفت حولهـا وتنظر إلى الأعـلى، تريد أن تعرف من أين جاءت.

افترضت أنه وهم، وأن شـيئاً كهذا لم يحدث أبداً. لكنها ما أن عادت لتمشـط شـعرها، حتى سـقطت نجمة أخرى. ولكي تتأكد، اسـتمرت بالتمشـيط، فكانت النجوم تتسـاقط من شـعرها الواحدة تلو الأخرى، حتى امتلأ حجرها.

افترضت عبير مرة أخرى، أن ما يجري ليس سوى حلم، وسرعان ما ستفيق منه. وفي هذه الأثناء عطست، فانتثرت في جو الغرفة بتلات ورد أحمر وأصفر وأبيض، وتطايرت حولها في مشـهد حُلميّ ساحر. وعندما فركت راحتيها فاحت رائحة ياسـمين حلوة. وعندما دست خصلة من شعرها خلف أذنها أعشبت الجدران. وعندما فرقعت بإبهامها وإصبعها الوسـطى، في حركـة بـدت خلالها كـما لو أنها اكتشـفت الـسر، انبثقت عشرات الفراشات وراحت تحوم فوق رأسها.

عندئـذ، قفـزت عبير إلى سريرهـا، وراحت تفكر بما يجـري. وكعادة النسـاء في مثـل هذه اللحظات، عضّت شـفتها السـفلى بينـما هي تجحظ بعينيهـا نحو السـقف. فاضطرب الجو في الخـارج، رعد، برق، مطر. ثم ضغطت بقوة أكثر على شفتها فانشقت، وسالت قطرة دم.

هنا تحديداً مات الشاعر !

PDF Eraser Free

مقبرة الانكليز

كان ديفيد يحب الشعر وكرة القدم، وعلى الرغم من ذلك، لم يكن يمتلك ما يكفي من موهبة ليصبح شاعراً مرموقاً، أو لاعب كرة قدم مشهور، يمثل المنتخب الانكليزي ويسجل هدفاً تاريخياً.

بعد أن أنهى ديفيد دراسته، التحق بالجيش البريطاني الذي احتل البصرة في عام 2003، ليُختطف بعد مضي عامٍ على الاحتلال، من قبل أفراد ميليشيا مسلحة في المدينة، اقتادوه إلى مكانٍ مجهول، قبل أن يقتلونه ويرمون بجثته في مقبرة الانكليز في البصرة. وعلى ما يبدو أنه زحف على بطنه، بينما هو يلفظ أنفاسه الأخيرة، حتى سجل هدفاً بين شاهدتين لقبرين عائدين لجنديين بريطانيين، نُقش عليهما أشعاراً لجون ملتون وشكسبير.

PDF Eraser Free

شاعر

في الثانية عشرة من عمره، قرر الشاعر أن ينتحر، ليتخلص من بؤسه الناتـج عن المحاولة الفاشـلة في كتابـة أول قصيدة لـه، وكانت من نوع القصائد التي تأكل نفسها. فقرر أن يأكل نفسه هو الآخر.

بدأ بأظفاره.

وهي العادة التي ما زالت ترافقه طوال ستين عاماً.

PDF Eraser Free

أميرة الألوان

لم تثـق أميرة الألـوان يومـاً بالرجـال. رفضت العـشرات منهم، بل المئات، من دون أن تخشى على نفسها من العنوسة.

كانت ترى أن أعظم ما في هذه القصص هي البدايات. وسوى ذلك، لا يعـدو عن كونـه مجرد ترهات يتقول به الرواة، ممن يسـمون أنفسـهم عشاقاً، وهم في الحقيقة أعتى الخونة.

في أحد الأيام، طلب ودها أحد الشعراء.

وبما أنها أميرة الألوان، سألته عن لونه المفضل.

وبـما أنه شـاعر، أجابها قائلاً وكلـه ثقة: انه ذلك للـون الذي تتخذه عيون الأطفال حين يولدون.

وما أن سمعت الأميرة جوابه هذا، حتى رفضته بأدب، قائلة:

"نعم، إنه لون يصعب التكهن به !"

PDF Eraser Free

متفرقة

PDF Eraser Free

PDF Eraser Free

رأس الثور

بسبب جمجمته الكبيرة شاعت تسميته برأس الثور.

رأس الثور هذا، إذا ما أضاعه أحد، فسيجده حتماً في قاربه العائم فوق مياه شط العرب.، حيث يمضي أغلب وقته هناك. لم يألف حياة البر كثيراً، كما لم تطأ قدماه الأرض إلا لقضاء الحاجة، أو النوم في كوخ من القصب وسعف النخيل، كان قد ابتناه بنفسه على الضفة، ليكون قريباً من المياه. وأحياناً ينام في القارب وسط النهر، في ليالي الصيف، ولا يخرجه إلى اليابسة سوى الجوع، لكي لا يضطر إلى أكل ما يصطاده نيئاً. ولأنه في النهر دائماً، يعود إليه الفضل في إنقاذ العشرات من الذين يوشكون على الغرق. فبالإضافة إلى كونه صياد سمك ماهر، كذلك يتمتع بخبرة طويلة وحنكة قل مثيلها في إنقاذ الغرقى.

وإلى جانب ذلك كله، يتمتع حمدان، وهذا هو اسمه الحقيقي، ببنية جسمانية رياضية، اكتسبها خلال فترة خدمته العسكرية في القوات البحرية، وعمل منقذاً لسنوات، أثناء اختبارات السباحة والغطس، التي يخضع لها طلاب الكلية البحرية في البصرة. وقد حافظ على لياقته البدنية، من خلال استمراره بالسباحة والغطس في الشط، على مر الأعوام الماضية. كان هادئ الطباع، تجاوز الثانية والأربعين، قليل الكلام، وفي حلٍّ عما يعيشه المرء من مشاكل الحياة في البر. لا يبدو منزعجاً من تسميته برأس الثور، لكنه يحب أيضاً أن يُنادى بالربان. كان طويلاً، برأس كبير، أملس الجثة لسبب مجهول، يفرق شعره السبط من المنتصف، كما يفعل يواكيم مالكى[1] طبخت شمس البصرة بشرته،

1- شخصية في رواية قط وفأر لغونتر غراس.

PDF Eraser Free
حتى أصبحت سـمراء غامقة وبراقة، كبشرة ربابنة المراكب الشراعية في باهيا[2] وكان يبيع صيده على الباعة الذين يقصدونه من سـوق السـّاكة، ليقايضـون الفاكهـة والغذاء الجـاف وأحياناً أدوية الرشـح والانفلونزا بالسـمك، لعلمهـم أن رأس الثـور يرفض المـال مقابل أسـماكه، فالمال يخرب النفوس، كما يردد على أسماعهم دائماً.

كانت طريقته فريدة في عمليات الإنقاذ. ورغم أنها مؤلمة، لكنها تفي بالغرض في أغلب الأحيان. خصوصاً إذا ما أراد المنقذ تجنب الغرق على يد الغريق، وتشبثه به بتلك الطريقة الجنونية، المتشنجة، التي تُفسِّر معنى المثل القائل: تعلّق فلان بقشـة. مما يؤدي في النهاية إلى غرقه مع الغريق، ويكون هناك ضحيتان بدلاً من ضحية واحدة. لذلك، يعمد رأس الثور إلى نطـح الغريق برأسـه الصلب، الكبـير، بقوة تفقده الوعـي، ليتمكن أخيراً من إنقاذه بهدوء ومن دون عوائق. يفعل ذلك لوجه الله وفي سبيل الانسـان كما يقـول، من دون مردود ماديّ أو عطايـا. حتى في حال أراد أحدهم تكريمه، فإنه يرفض بشـدة، قائلاً أنه لم يفعل شيئاً يستحق الثناء والتكريـم، فـلا أحد يموت قبـل أوانه. وأن كل شيء في هـذا العالم وله سـبب معين، سـواء في الموت أو الحياة. وبالتالي، لا يحسـب نفسه سوى أحد تلك الأسباب، التي مكنت الكثير من الناس من إكمال حياتهم.

"لأنهم ببساطة" يقول رأس الثور:" لم يحن موتهم بعد !"

وعلى مدى مسـيرته الإنقاذية، نطح رأس الثور الكثير من الرؤوس، المئـات منها، ليدخـل أصحابها في غيبوبة، ويتم عملـه بعدها على أكمل وجه. تلك الطريقة التي ابتكرها يوماً ما، قبل سنوات طويلة، حين كان برفقة شريك له في عرض النهر. كانت الريح قوية وعاصفة. جرف التيار

2- مدينة ساحلية في البرازيل وظفها جورج أمادو في رواية بحر ميت.

PDF Eraser Free
القـارب وغمرته المياه، فانقلب على وجهه وغرق. وجد ذلك الشريك، الذي انتزعته حياة البر بعد ذلك ومات فيها، نفسه متشبثاً بحمدان بقوة، كأنـه عـزم ألا يغـرق قبل أن يجذبه معـه إلى القاع. قيّـد حركته إلى درجة أن حمـدان بات عاجزاً عن المقاومة، وظن أنهما سـيموتان معاً. عندذاك، خطرت له فكرة، هي أن ينطح رأس شريكه، ويفقده وعيه.

نجـح الأمر، وهو منذ ذلك اليوم، يتخذ مـن هذه الطريقة منهجاً لإنقاذ الآخرين. امتلأ رأسـه بآثار الكدمات، وكان كلما أنقذ أحدهم، وأوصله إلى بر الأمان على الضفة، يعود ليصغي إلى النهر، بأذنيه الكبيرتين اللتين، يُحكى، أنهما قادرتان على سماع استغاثات الغرقى على بعد أميال، فيسرع لانتشالهم.

لا أحد يموت قبل أوانه ! حكمة رأس الثور الأزلية.

لكـن، يتسـاءل البعـض، هـل كان ذلـك اليـوم العاصف من شـهر حزيران، أوان موت حمدان حقاً ؟

لقـد وجده مجموعة مـن الصيادين، الذيـن اعتادوا مشاكسـته، أثناء مرورهم من أمامه، ميتاً في قاربه. كان ما يزال جالساً في مؤخرة القارب، منكساً رأسه، ممسكاً بمجذافيه، وثمة نوارس تحوم فوقه. ظنوا في البداية أنه نائم، وحين لم يستجب لمناكفاتهم ارتابوا في الأمر، واقتربوا منه كثيراً. لكزه أحدهم بمجذافه، فانكب على جنبه الأيسر في النهر، وغرقت جثته مثل كانكان العوام[3] .

مـات ولم يتذكـره أحد من أولئـك الذين أنقذ حياتهـم، لا بخير ولا بشر. ليس نكراناً للجميل، إنما لم يعد بوسع أحد منهم تذكر شيء. فمن لم يفقـد وعيـه ويدخـل في غيبوبة عميقـة، فقد ذاكرته الى الأبد، بسـبب النطحات الفولاذية لحمدان، رأس الثور.

3- بطل رواية كانكان العوام الذي مات مرتين لجورج أمادو.

PDF Eraser Free

المسماري

لم يعبأ جبار للمسمار اللحمي، الذي نبت في الدفة اليسرى لظهره، ما دام أنه لا يسبب ألماً، أو يعيقه عن الحركة. أهمله، كما يهمل الكثير من الناس الزوائد اللحمية، والأكياس الدهنية، والغدد المنتفخة، والبواسير الهوائية، التي تظل تلازمهم مدة طويلة، وقد تذهب معهم إلى القبر.

لكن، بعد مرور فترة وجيزة، بدأ جبار يشعر بالقلق، فقد عثر على مسمار آخر في الدفة اليمنى. وبعد فترة أقل كان هناك واحداً آخر في ذراعه. ثمة مسامير جلدية بدأت تظهر في أنحاء متفرقة من جسده، وأخرى عظمية نبتت في كعبي قدميه، جعلت مشيه صعباً. لم تعد العلاجات الطبية، والوصفات العشبية، وحتى الكي، وتقنية العلاج بالليزر، مجدية في الحد من تغلغل تلك المسامير المزعجة والكريهة، التي تكاثرت إلى حدٍ لن ينفع معه التدخل الجراحي، إذ يمكن أن يعرض حياته إلى الخطر، أو يموت بسببه. صار يرى أحلاماً غريبة، كأنه مسمار كبير دُق في صليب خشبي كبير. يرتعد خوفاً كلما مرّ بسوق النجارين، مأخوذاً بوهم أن ذلك سيثير شهوة قلاعات المسامير نحوه.

حاول التكيف مع وضعه المزري، والتصالح مع ذاته، والتسلح بالقناعة والرضا بالقدر، فهو لا يريد الموت من أجل حفنة مسامير قبيحة. صار يتلقى نبز أهالي الحي له بالقنفذ، برحابة صدر. حتى عندما أراد التزوج، ورُفض مرات عديدة، بداعي أنه سيفني بنات العالم، لم يرثي لحاله، إنما استمر في تصنع اللامبالاة، وحاول التصرف كما لو أن هناك سوء طالع في الأمر، يقف في طريق حصوله على امرأة، وليس تلك المسامير اللعينة.

PDF Eraser Free

لكنـه لم ييـأس بعـد، وما زال يمني نفسـه بالـزواج من امـرأة، حتى لـو كانت مجنونـة أو عمياء، لا تعـي أنها مقترنة بكتلة مسـمارية. وهو ما حـدث أخـيراً، في أحـد الأيام. غـير أن الشـقاء ليس له مـن عمر محدد، فقـد أعـاد العروس إلى ذويهـا في الليلة نفسـها، بينما عاد هـو إلى عزلته، يداوي جروحه، التي أحدثتها تلك المرأة نصف المجنونة في جسده، بعد اقتلاعهـا عدة مسـامير بأسـنانها. وفي صباح اليوم التالي، جـاء إليه والد العروس المطرودة، سمعه من وراء الباب وهو يهدد ويتوعده بالويل:

"سـأعطيك مهلة إلى ما بعد الظهر، إن لم تأتِ لأخذها، سـأنتف لك ريشك.. هل فهمت ؟"

"لـن أعيدهـا، وأعلى ما في خيلـك فلتركبه !" رد جبـار وهو يأنّ من الألم:" ثم أني لست دجاجة لتنتفش ريشي أيها البغيض !"

«حقاً ! لقد نسيت": قال الرجل وراح يتوعده ثانية:" إذن، سآتي لك غداً بنجار يقتلع مساميرك أيها المشوّه !"

عـاش بعدها جبار أعوامـاً كئيبة، تجرّع خلالها مـرارة الوحدة، تحت رحمـة المسـامير، حتى جاء يوم ضاق فيه ذرعاً بـكل ما يجري له. وفجأة، قـرر الخضوع للجراحـة، مؤثراً الموت عـلى البقاء هكذا، قامة مسـمارية أشـبه بختـم اسـطواني، أو أحـد النصـوص المستنسـخة مـن الألـواح السـومرية. حاول بعض الأصدقاء ثنيـه عن الأمر، لكنه كان مصراً على إجراء العملية، وإلا فإنه سينهي حياته بطريقة أخرى.

حينئـذ، وكـما لو كانت تلك المسـامير هي من تثبّته عـلى جدار الحياة طـوال عمره الفائت، كان جبار يفقد شـيئاً من حياتـه كلما اقتلع الأطباء منه مسماراً. ملأوا منه صندوقاً بلاستيكياً كبيراً، إلى أن صُفّي تماماً.

آخر مسمار استُل من جسده دُقّ في نعشه.

PDF Eraser Free

أحجار الموت

حينما بلغت مسز وولف النهر، ليس بعيداً عن منزلها في سسكس، تساءلت عما إذا كانت كمية الأحجار التي أثقلت بها جيوبها، في تلك الأثناء، كافية لإغراقها.

"ربما عليّ إحضار المزيد"

قالـت، بينما هي تفرغ تلك الأحجار على الضفـة. ثم انصرفت لتبحث عن البقيـة مـن أحجار موتها في الجـوار. وإلى أن عادت، مالئة بهـا جيوبها، فوجئت باختفاء الأحجار التي سبق وأن تركتها على الضفة.

"حسـناً !" قالت وهي تدعك ذقنها، وتراقب ثلاث دوائر على سـطح النهر بلغت أقصى اتساعها في ذلك الحين:" ربما سبقتني امرأة أخرى إلى النهر !"

ثـم أفرغـت مـا كان بمعيتها من الحجـارة التي جلبتها مؤخـراً، وانصرفت لتجلـب المزيد منها. وحينما عادت إلى النهر، كانت الأحجار قد اختفت مجدداً. فأعـادت الكرة مرة ثالثة ورابعة وخامسـة، وقد ضاقت ذرعاً، في كل مرة تعود ولا تجد أحجارها.

"يا إلهي !" قالت بحيرة وغضب، وقد وضعت يدها على خصرها وراحت تتلفت في كل الجهات:" أحد ما يعبث معي !"

عـبرت النهـر إلى الضفـة الأخـرى، بعـد أن وضعـت وجبـة جديـدة مـن الأحجار. واختبأت وراء شـجرة، وراحت تراقب من هناك. فإذا بها ترى فتاة صغيرة. فرجينيا أخرى في عمر السـابعة أو الثامنة، وهي تعض لسـانها وتطوح بالحجـر تلـو الآخر، ثم تقذفه بشـكل أفقي. فينزلق هـذا بسرعة خاطفة، كطير يقتنص صيده من السمك على سطح الماء. بينما صدى ضحكتها تتردد في فضاء النهر.

PDF Eraser Free

الساعاتي

كان نعمة السـاعاتي يدفن السـاعات التي لا يرتجى منها خيراً. يحفر حفـراً صغيرة في حديقة البيت، يلتفت يميناً ويسـاراً وخلفه، ثم يضعها هناك ويهيل عليها التراب مثل دفان عتيد. لا أحد يراه يفعل ذلك سوى حفيـده الأصغر، وكان في السادسـة من عمره، حيـث يختلس النظر من مـكان مـا، وما أن ينتهي الجد مـن دفن موتاه، حتى يُهـرع إلى نبش قبور الساعات العاطلة تلك ويخرجها.

وإلى أن تخلص السـاعاتي من جميع سـاعاته العاطلة ومـات مطمئناً، كان الحفيـد قـد كبُر وصـار رجـلاً، وكان بانتظاره الكثير مـن الأوقات الضائعة.

PDF Eraser Free

الشمّاعة

ما من شيء يحدث في الحي، إلا وقيل أن عبيد هو السبب.

اختفاء مضخات الماء واسطوانات الغاز وتكسير مصابيح الإنارة والحرائق في سوق الخضارة. الاحتلال والتفجيرات والأزمة المالية وهبوط أسعار النفط والحرب الأهلية.

حتى عندما انتشر داء" أبو خريان" بين أطفال الحي قالوا:" هو.. هو عبيد لا أحد غيره"

في أحد الأيام، أشيع عن وجود كائن وحشي غريب يأكل خصي الأولاد الصغار. وبطبيعة الحال توجهت أصابع الاتهام إلى عبيد. اتفق الجميع على محاصرته والقبض عليه والتخلص منه إلى الأبد. فسمع هو بذلك متأخراً بعد أن قيل في البداية أن الأمريكان هم من قذفوا بذلك الكائن المتوحش من إحدى طائراتهم الحربية ليروعوا السكان، لذا لم يسعه الوقت للهروب، فاستسلم لقدره ولاذ في إحدى زوايا الغرفة الوحيدة المنعزلة التي يسكنها على ضفة النهر.

لكنهم عندما دخلوا عليه، لم يجدوا سوى شماعة كبيرة ما زالت محشورة هناك في الزاوية، علّقوا عليها ثيابهم، وراحوا يبحثون عن شخص آخر يعلقون عليه سبب اختفاء عبيد.

PDF Eraser Free

موت المؤلف

لم يكد عزيز، الروائي ، أن يصل إلى النهاية، حتى توقف فجأة. انبرت إحدى شخصيات الرواية معلنة:

"مات المؤلف !"

سمعت بقية الشخصيات، واحتفلت بهذه المناسبة السعيدة، وأوقدت شمعة لروح رولان بارت، إلا شخصية واحدة، فقد شعرت بالحزن. عندئذ، قالت شخصية أخرى بجوارها، مواسية، بينما هي تربت على كتفها:

"لا تحزن يا صديقي. في كل الأحوال، كان سيسوقنا هذا المؤلف جميعاً إلى النار !"

PDF Eraser Free

مغتربون

عـاش خلـدون في باريس لأكثر من ثلاثين عاماً، مـن دون أن يتعلم اللغـة الفرنسـية. وحين عـاد إلى العراق بعد حـرب 2003، كان محرجاً أمـام أهله وأقاربه وأصدقاءه. فاخترع لغة أفرط فيها باسـتخدام حرف الغين.

سـارت الأمـور حسـب مـا مخطـط لهـا. وكان الجميـع منذهلين من رطانته. حتى جاء يوم، كان يشرب شـاياً في أحد مقاهي العشار، عندما سـمع شـخص يتحدث إلى مجموعـة من زمـلاءه، بلغة يشـدد فيها على حرف الراء.

لكنها لم تكن اللغة الإسبانية على أية حال.

PDF Eraser Free

حارس أحلام النساء

حراسة أحلام النساء مهنة شاقة، لكنها ممتعة. أو هذا ما استنتجته طوال الأعوام الطويلة التي قضيتها في الحفاظ على تلك الأحلام، ومنعها من الضياع، إلى أن تتحقق. وقد تحققت جميعها، باستثناء حلم واحد كان أشبه بسمكة انزلقت من بين أصابعي وضاعت في النهر.

كان حلماً مستحيلاً جلب لي الحزن والأسى، إذ اتضح أن المرأة المسكينة صاحبته كانت تحلم... بي !

PDF Eraser Free
المحاة

كل يوم تنقّع ثلاثة أثواب وسبع وسادات، وتستهلك آلاف المناديل الورقية التي ترميها من النافذة، وتثير تذمر عمال التنظيف، عدا أرضية الغرفة التي تغمرها بدموعها.

أثناء ذلك، بينما هي تبكي، كانت سعاد تلهي نفسها برسم بورتريه لرجل يحبها، يعتني بها، لا يخونها أو ينظر إلى امرأة سواها. فتحقق لها ما أرادت، فما أن اكتملتُ حتى أُغرمت بها، ورحتُ أواسيها واحتويها وأغمرها بحناني. بل أني بدأت البكاء بالنيابة عنها. في حين كفت هي عن ذرف الدموع.

ولكي ترد الجميل، بادرت إلى مواساتي أيضاً. وبطبيعة الحال، كان أول شيء فعلته بهذا الشأن، هو أنها بادرت إلى مسح دموعي، وليت الأمر اقتصر على ذلك فحسب، إنما طالت بممحاتها عينيّ فمسحتهما، لكي لا تعود هي إلى البكاء.

هكذا إذن يعمينا الحب !

PDF Eraser Free

خيانة المترجم

يعترف شمس الدين أنه روائي فاشل. فقد كتب أكثر من ثلاثين رواية سيئة، لم يحفل بها أحد.

يوماً، نصحه أحد النقاد المتعجرفين، بأن يشارك في جائزة أسوء رواية. فمثل هذه الجوائز تُمنح عادة في أوربا. ومستسلماً لإحباطه، امتثل شمس الدين لتلك النصيحة. دفع مبلغاً من المال لأحد المترجمين المغمورين، يعمل في مكتب للترجمة، يشبه القبو، في العشار، كي يترجم روايته الأخيرة للانكليزية. ففعل هذا، وأرسل شمس الدين روايته، في البريد، إلى إحدى تلك الجوائز، فجاءه الرد صاعقاً، إلى درجة أنه مات في الحال:

"عذراً.. لا نستقبل الروايات العظيمة !"

PDF Eraser Free

شجرة الكاليبتوس

لم يتمالك رياض نفسه من الفرح حينما كسب رهانه مع رفيقه صباح وتغلب عليه بالحصول على موعد من ورود التي همست له بينما هو يتبعها إلى السوق:

"اسبقني إلى النهر وسأوافيك لاحقاً"

فذهب إلى هناك على الفور. جلس على جذع شجرة كالبتوس مقطوعة ليستريح. حلّ الظلام، لكنه لم يعد إلى البيت، خشية أن تأتي ورود ولا تجده. رأى فرصته هذه مثل سحابة إن لم يتعلق بها فاتته وصار موضع سخرية صباح. لذا لم يبرح مكانه على شجرة الكالبتوس طوال الأيام اللاحقة، حتى نمت له بواسير كالجذور. لفحته شمس الظهيرة وغيّرت لونه، وكان سيجف لولا المدّ النهري الذي كان يرفده بالماء في الوقت المناسب. في حين كان بعض الصبية يعبرون من الضفة المقابلة ويتغوطون أسفله.

عندما حلّ الربيع، أصبح سكان القرى المحاذية للنهر يتحدثون عن نموّ شجرة الكالبتوس على ضفة النهر من جديد. سمع الحطابون بذلك فهبوا بفؤوسهم ليتناهبوها، إلا أن مجموعة من العشاق هرعوا لنجدتها، وراحوا يحفرون عليها أسماءهم التي صارت تثير في رياض حكة مزعجة، في وقت لم يعد يملك إلى هرش لحائه سبيلا. وفي أحد الأيام الخريفية، أحس بوجع مرير لا يُحتمل، عندما شرع أحد العشاق بالنقش على لحائه:

"ذكرى صباح وورود الحب الأبدي"

حينذاك، تمنى رياض لو أن حطاباً يتربص له في الجوار، ليخلصه من هذا العذاب !

PDF Eraser Free

بـما أنهما يبتعدان عن بعضهما كثـيراً، ولا يتوافقان في أغلب الأحيان. اخترع كل من الجوزاء والثور طريقة جديدة في التواصل.

الوشم !

فقد وشـم كل واحد منهما شـكل الآخر على ذراعه، فمتى ما اشتاق أحدهمـا وحـنَّ إلى حبيبـه، هـرش الوشـم. هكذا، سـيتبادلان شـوقهما ويشعران بنشوتهما الغرامية.

في إحـدى الليالي، كان القمر بضيافـة الثور، بينما كانت الجوزاء تتنزه في الجوار. جلسـت على طرف بئر العالم، لتأكل تفاحاً، وتستعمل لأجل ذلك سكيناً. فرأت حبلاً مربوطاً بحجر ناتئ في طرف البئر.

"مـاذا يفعـل برج الدلو في بئر العالم ؟" قالت الجوزاء مسـتنكرة:" لا يوجد على تلك الأرض القبيحة سوى الدماء !"

كانت قد بدأت تقطع التفاحة بالسـكين، بينما هي تردد كلمات أغنية كونيـة، عـن إغواء الشـيطان لأبوي البشريـة، حينما لاحظـت أن الحبل يتحرك.

"لا بـد أنه في مأزق" قالت الجوزاء وتأففت. تناولت الحبل وراحت تسـحب رفيقها الدلو:" لا تخف يا عزيزي، ستنجو من هؤلاء البشر. ها أنا أسحبك أيها الدلو . تمسك، تمسك !"

كان الدلو ثقيلاً، فقالت الجوزاء:

PDF Eraser Free

"لا بد أنك تحمل معك صيداً !"

في تلـك الأثنـاء، كان الثـور يهرش الوشـم على ذراعه، مـن دون أن يتلقـى جوابـاً. لم تتفاعـل الجـوزاء مع اشـتياقه في تلك السـاعة. فتعكر مزاجه، وقال:

"لا بد أنها نائمة أو منشغلة بشيء ما"

نائمة ؟ لا.

لكنها كانت منشغلة حقاً.

منشـغلة بتقطيع يديها بالسـكين، بـدلاً من التفاحـة، خصوصاً وأنها رأت، وللمرة الأولى، الرجل الذي جلبه الدلو معه.

كان أجمل رجل على وجه الأرض.

PDF Eraser Free

أغنية لجيفارا

"جيفارا مات !"

هكـذا ردد أحمد فؤاد نجم كلـمات قصيدته، وغناها فيما بعد الشـيخ إمام. الأمر الذي لم يصدقه سـتار، على الرغم من اعتراف فيدل كاسترو نفسه، الذي كذب خبر مقتل رفيقه في السلاح في البداية.

كان سـتار لا يـزال ينفي الخبر بقوله: جيفـارا لم يمت ! عندما أُعتقل بعد عشر سـنوات، بالتزامن مع انهيار الجبهة الوطنية سيئة الصيت، بين الشـيوعيين والبعثيين. فعُذّبَ، واقتلعوا أظفاره، وأجلسوه على زجاجة عرق، قبل أن يطلقوا سراحه بعد سـنتين بداعي الجنون. إذ ما زال يصر على أن جيفارا لم يمت، بدليل أنهم لم يعثروا على جثته حتى ذلك الوقت.

بعـد مرور واحـد وأربعين عاماً على مقتل جيفـارا، وتحديداً في العام 2008 تحـول المناضل الاشـتراكي، اللينيني، من رمـز يمثل الثورة ضد الرأسـمالية، والامبرياليـة، والاسـتهلاكية، إلى علامـة تجاريـة، وصورة انتقلت من الجدران والكتب، إلى الملابس والسلع، التي تنتجها شركات صناعـة الألبسـة، في الـدول الرأسـمالية الكبيرة. وهو ما شـاهده سـتار مؤخراً في تقرير تلفزيوني، بمناسـبة إزاحة الستار عن تمثال له في بوينس آيرس، ومرور ثمانين عاماً على ولادته.

حينئـذ، وقبـل أن يلفظ آخر نفسـه لـه في الحياة، قال بصـوت بالكاد سمعته ابنته التي كانت تقطر في فمه ماء الوداع:

"هذا ما أرادوه لجيفارا ! جيفارا مات !"

PDF Eraser Free

الشطحة المميتة

ربما حدث ذلك في إحدى شطحاته. وجد الصوفيّ نفسه يوماً في حجرة جرداء بسقف عال، وبدون باب. وكان برفقته ساموراي ياباني وأسد وأيّل.

مضت ثلاثة أيام، والأربعة يعيشون في صمت وتوجس. وقد تفشى فيهم الجوع على نحو واضح. نحلت أجسادهم، وبرزت عظامهم. وفي ليلة اليوم الرابع، بدأت بوادر نشاط الأسد الافتراسي بالظهور. راح يتفقد بحاسة شمّه الكلبية رائحة الساموراي العنيد، ثم الأيّل المستسلم لمصيره المحتوم. لكنه لم يقترب من الصوفيّ المؤمن بالقضاء والقدر.

في أثناء ذلك، أخرج الساموراي قارورة صغيرة، وراح يشمها بانتشاء. سأله الأسد بلهجة غاضبة، وكان على وشك الانهيار بسبب الجوع:

"ما هذه يا صاحب العينين الضيقتين، تكلم وإلا أكلتك بلقمة واحدة"

"ماء الحياة !" قال الساموراي، وقدم القارورة إلى الأسد الذي ارتاب منه، ورفض كرمه الياباني، فقد اعتاد، طوال عيشه في الغابة، ألا يأمن مكر الإنسان. عندئذ، أفرغ الساموراي محتوى القارورة في جوفه، بينما هو يبتسم ويقول:

"بصحتكم يا رفاق المجهول، نخب هذه الحياة الخالدة !"

PDF Eraser Free

ومـا أن انتهـى السـاموراي مـن تجرع ماء الحيـاة، حتى انقـضّ عليه الأسد:

"حسـناً يـا يوكيو ميشـيما زمانك":" دمـدم بينما هو يجثـم على صدر فريسته المبتسم:" سنرى الآن كم ستعيش بعد أن أقطع لوزتك !"

ثم زأر، وعض الساموراي من عنقه، فمات هذا على الفور.

اكتفى الأسد بعشاء تلك الليلة. في حين أرجأ مصير كل من الصوفي والأيّل إلى الغد.

في صبـاح اليـوم التـالي، تحـرك الأسـد، بدافـع غريزتـه الافتراسـية العدوانية، لانتقاء وجبتـه التالية. وهي الأيّل. أما الصوفيّ، فما زال يظن أنـه بمأمن من بطش هذا الحيوان المفترس. فهو إنسـان نباتي، لم يأكل في حياتـه قطعـة لحم أبداً. وسـبق له أن أفلـت، بفضل نباتيته، من السـباع والوحـوش والطيـور اللاحمـة في كثـير من المغامـرات. لهـذا، لم يتقرب الأسـد منـه، أو يتبادل معه نظـرة واحدة توحي أنه صـار ضمن خططه المسـتقبلية. إنما كان يسـلط اهتمامه على الأيّل المسـكين، الضعيف، قليل الحيلة الذي، رغم نباتيته هو الآخر، لكنه لا بد أن يخضع لقانون الغابة. فعلاقة الأسود بالأيائل هي هي نفسها. سواء كانت في غابة أو في حجرة مغلقة، مجهولة، تقع خارج الزمكان.

لكن، شاء الأسد وشاء مكر الإنسان.

اقترب الأسـد مـن الأيّـل، لكن بخطـوات واهنـة. حـاول أن يزأر بوجهـه ليثبـط نصف عزيمته عـلى المقاومة. إلا أن مـواء ضعيفاً، واهياً، هـو كل مـا خـرج من فم الأسـد، الذي مـا أن وصل إلى فريسـته، حتى

PDF Eraser Free

انهار بجثته الضخمة على الأرض. رفس برجليه، أطلق صوتاً محنوقاً، ثم مات. مات متأثراً بقوة السم الذي كان الساموراي قد أفرغه في جوفه، على أنه ماء الحياة.

فرح الأيل بذلك، مثنياً على مكر الإنسان. وبينما هو كذلك، تذكر جوعه، وراح يشم رائحة نباتات.

"لا بد أن هناك نباتات في الجوار" قال الأيّل وهو ينظر إلى الصوفي، كما لو أنه يخبئ عنه شيئاً:" من أين تأتي تلك الرائحة ؟ هل تشم ؟"

هز الصوفي رأسه نافياً. بينما الأيّل الجائع يدور في الحجرة، واللعاب يسيل من فمه بغزارة. كان يشم الجدران، والأرض الصلبة، ويبحث عن مصدر الرائحة المغرية، وهو يقول:

"نباتات ! أشم رائحة نباتات !"

حينئذ، اقترب من الصوفيّ الخائف، الذي حشر نفسه في إحدى زوايا الحجرة. راح يفكّر بأسلوب المقاتلين القائل أن أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم. لكنه تخيّل، في حال هجم على الأيل وأكله، كيف سيفقد خفّته، وتعود إليه الكثافة الكريهة، ويصبح بوله زنخاً، وبرازه أنتن من المعتاد. وبينما هو على هذا الحال المزري، أحس بأول قضمة، من أسنان الأيّل، في أصابع قدمه اليمنى.

يا للأيّل المتوحش !

PDF Eraser Free

اللاعق

بدأت القصة عندما قام بلعق جرح امرأة مطعونة عاطفياً.

كان لجرحها طعم سـكين غُمدت في قلبها من قبل الحبيب السـابق. لكنها ما أن برأت من ذلك الجرح، حتى انصرفت إلى رجل آخر.

وفي كل مـرة يلعق جـرح امرأة جديـدة يقع في غرامها، يلذع لسـانه طعم الأدوات المسـتعملة في الطعن: مخارز، دبابيس، كلاليب، أمواس، خناجر، سيوف. حتى صار يعرف طعم جميع الرجال الغادرين. وكانت المرأة إذا أرادت منه أن يشفي جرحها، التمست منه قائلة بتوسل:

"أرجوك يا سيد كلب هلّا لعقت لي جرحي ؟"

وفي الوقت الذي كانت آخر امرأة أحبها تُشفى بعد أن لعق جرحها، كان هو يموت ببطء.

كان جرحاً مسموماً.

أو .. في النهاية مات بجرح مسموم.

PDF Eraser Free

المقايضة

اجتمع فلوبير بتولستوي ذات يوم بمناسبة مرور مائة عام على وفاة الأخير. فدار بينهما لغط حول مدام بوفاري وآنا كارنينا، وأيهما كانت أكثر ألماً من الأخرى أثناء إقدامهما على الانتحار. إلا أن أحداً منهما لم يستطع إقناع الآخر بما لديه من الحجج والبراهين. عندئذ اتفقا على تبادل هاتين الشخصيتين فيما بينهما، ليكتشفا بنفسيهما حجم الألم.

بعد دقائق، كان الزرنيخ يقطع أمعاء آنا كارنينا التي راحت تتلوى على فراش الموت ثانية، وفلوبير يذرع الغرفة جيئة وذهاباً. في حين كان تولستوي آنذاك في المحطة، يبحث عن مدام بوفاري التي غافلته واستقلت القطار مع عشيق جديد، بدلاً من أن تلقي بنفسها تحت عجلاته القاتلة.

PDF Eraser Free

الزاحف

كان عصيان مولعاً بالتحرش. يخرج إلى السوق في وقت الذروة، ويستغل الزحام لتحقيق غاياته. احتمل الكثير من الضرب بالحقائب النسائية والأحذية، وتلقى الكثير من البصاق والشتائم. حتى أن هناك بعض الآثار لكعوب أحذية يمكن رؤيتها على جبينه.

لم يمضِ الكثير من الوقت على احتلال المدينة من قبل المتطرفين، حتى ازدحمت الأسواق من جديد. فزج عصيان نفسه وسط النساء المنقبات، وراح يمارس عاداته المشينة، والتي جلبت له العذاب في نهاية الأمر، فقد ضُبط أثناء حملة قامت بها شرطة النهي عن المنكر، واقتيد إلى المحكمة الشرعية بتهمة ارتكاب أمور مخلة بالآداب ومخالفة للشريعة: لمس المؤخرات والنظر إليها وتخيل طعمها وصوت اهتزازها، وملاحقة صاحباتها في الأسواق والزحامات. فمَثُل أمام القاضي الملتحي الذي يلف حول رأسه عمامة سوداء ويرتدي زياً أفغانياً.

كان هناك بعض الجناة يقفون في طابور، وكان القاضي الذي يتحدث بلغة عربية مكسرة، بدا وهو يرطن بها كما لو أنه يسحق زجاجاً بين أسنانه، يطلق أحكامه عليهم بالتتابع، وفقاً للشريعة. وعندما وصل الدور لعصيان، واطلع القاضي على التهم الموجهة إليه أصدر أحكامه التالية:

- زنا اليد اللمس: اقطعوا يديه.
- زنا العين النظر: اسملوا عينيه.

PDF Eraser Free

- زنا اللسان اللحس: قصوا لسانه.

- زنا القدم الجري وراء المنكرات: ابتروا قدميه.

- زنا الأذن السمع: اقتلعوا أذنيه.

بعد أن نُفذت كل تلك الأحكام، رأت المحكمة أن لا مبرر لاحتجاز عصيان في سجونها، فأطلقت سراحه. وهو منذ ذلك اليوم يهيم زحفاً على وجهه في الطرقات، مثل دودة عمياء مسحوقة تنوء تحت ثقل حذاء ثقيل. وقبل أن يموت، رُشّ بمبيد قاتل أثناء الحملة التالية التي قامت بها البلدية.

حملة القضاء على الزواحف.

PDF Eraser Free

حرّ

في أكبر عملية تدجين شـهدها التاريخ، وكبقية نسـاء البلد، بدلاً من أن تنجب مولوداً ذكراً، كما أكدت ذلك مراراً أجهزة السـونار، وضعت حيـاة بيضة كانت على وشـك أن يُختم عليها، وتُصـادر إلى الزرائب مع آلاف البيض، لتفقس تحت بطون النعّامات الدافئة، لولا جرأة الأم التي احتالت على جامعي البيض، واسـتطاعت أن تُخبئ بيضتها تحت الديك الوحيد في البيت لتبعد عنها الشـك، حتى فقسـت تلك البيضة، وخرج منها ذكر أسمته حرّ.

عـاش حـرّ في العتمة لأكثر من ربع قرن. وعندما ضاق ذرعاً ولم يعد يحتمـل المزيـد مـن العزلة، غافل أمه وخـرج إلى الشـارع في أحد الأيام. وفي طريقـه إلى حيـث لا يعلـم، قرأ مئـات الأقوال والشـعارات المذيلة باسـم القائد. في حين لم يرَ صورة واحدة لذلك القائد الأسطوري الذي تصدح الحناجر باسـمه ليل النهار. في الأغـاني، والصحف، وفي قصائد الشـعراء. وعندما سـأل حرّ بعض المارة عما إذا كان بإمكانه رؤية القائد أجابوه بارتياب:

"لا أحد يمكنه رؤية القائد !"

إلا أن أحدهم قال له همسـاً أن القائد سـيخطب بالجماهير هذا اليوم، في سـاحة الاحتفالات، لكنه لن يراه أيضاً. فقرر حرّ الذهاب إلى هناك. وفعـلاً، مـا أن حلّ الموعد المقـرر حتى هرع مع الجماهـير الزاحفة ليرَ إن كان حقاً ما قيل بشأن استحالة رؤية القائد.

PDF Eraser Free

في تلك الأثناء، كانت الأم تفتقد ابنها حرّ الذي لم يعد إلى البيت أبداً. فحدست أن مكروهاً أصابه. ومنذ ذلك اليوم وهي تبحث عنه في كل مكان، لكن من دون جدوى. فقد اختفى أثره تماماً.

بعد عدة أعوام على تغييب حرّ، سقطت الدكتاتورية في البلد، وانتهى عصر الدجانة، وتنفس الشعب هواء الحرية، وبدأت الأم رحلة بحث جديدة عن ابنها في السجون والمعتقلات، واكتشفت أن الجميع في البلد يبحثون عنه أيضاً، ليصف لهم شكل القائد بما أنه المواطن الوحيد الذي رآه. وعلى الرغم من ذلك، والبحث المتواصل في كل مكان، لم يعثر عليه أحد.

إلا أن صورة ذاع صيتها في الصحف وقنوات التلفاز مؤخراً، يظهر فيها شخص بين عامة الشعب في ساحة الاحتفالات. كان الجميع كالنعامات، يطمرون رؤوسهم في التراب بينما تلفع الريح مؤخراتهم العارية، إلا ذلك الرجل، كان أشبه بديكٍ، نافشاً ريشه، شامخاً بعرفه عالياً، بينما هو ينظر إلى القائد الذي لم يظهر أيضاً. وعلى ما يبدو أنه هو من التقط تلك الصورة.

PDF Eraser Free

مائة ليلى وذئب واحد

توجد في قرية ام الحكاوي نحو مائة ليلى، جميعهنّ سُمِّينَ تيمناً باسم الجدة الأكبر والحكاءة الأمهر، وحيدة عصرها وبُهلولة مصرها ليلى بنت قاووش الحكواتي. وكان في القرية راع للخرفان يُدعى قيساً. كان مثله مثل قرّاص الخصاوي، مع أنه لم يقرص خصية في حياته، إلا أن أحداً لا يمكن أن يذكره إلا وتحسس السامع ما بين فخذيه. كذلك هو قيس الراعي المسكين، عندما علم غريمه نُميرة بحبه لابنة عمه ليلى أخذ خروفاً من عنده وزجّه بين خرفانه في الحظيرة، ثم أعاد الكرّة بطرائق عدة، حتى شاع بين الناس أن قيساً هو سارق خراف نُميرة، وأطلقوا عليه لقب ذئب الخراف الخائن.

غضب أهل القرية واحتكموا للجدة الأكبر التي حكمت بدورها على قيس بالموت. فقيدوه وألقوا به في غابة النخيل المحاذية للقرية لتأكله الذئاب. وبما أن قيساً كان وحيد أبويه ولم يكن له أخوات، سيقت ابنة عمه ليلى إلى بيت نُميرة بالإكراه تعويضاً عن الخراف التي من المفترض أنه سرقها. فتزوج منها وأنجبت له ثلاث ليلات دفعة واحدة، في حين لم يعد لمجنونها قيس علامة تذكرها به.

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى عادت ظاهرة السرقة إلى القرية. إلا أن أحداً من الخرفان لم يختفي هذه المرة، كما لا يوجد قرّاص للخصاوي تُلصق به التهمة ليُنفى. فقد أشيع عن ذئب في الجوار أنه يقتنص كل ليلى تقترب من النهر أو تذهب إلى الحصاد أو تواعد حبيبها في الأدغال.

PDF Eraser Free

شـيئاً فشـيئاً، تناقص عـدد البنات اللـواتي يحملن اسـم ليلى، وصار الذئب يسطو عليهن في الخدور ليلاً، رغم الحراسة المشددة التي يفرضها رجـال القرية كل ليلة. كثرت الفواجـع وصار في كل بيت نائحة. لم تبق ليـلى في القريـة إلا وأكلهـا الذئب، باسـتثناء ليلى الجدة الأكـبر. أما هذه فقد طوّق الحراس مخدعها من كل جانب، لكنهم عندما دخلوا عليها في صبـاح أحد الأيـام لم يجدوا لها أثراً. لا أحد يعـرف إن كان أكلها الذئب هـي الأخرى، أو أنها رحلـت بطريقة ما من دون أن تترك وراءها شـيئاً دالاً على وجهتها سـوى كتاب الحكايات خاصتها الذي تركته مفتوحاً. وعلى ما يبدو أنها وصلت في القراءة إلى قصة ليلى والذئب.

منذ ذلك الحين وكلٌّ يبكي على ليلاه !

PDF Eraser Free

موسيقى تصويريه

في أحد الأيام، سُرق مني نبضي اثناء عملية جراحية. لا اعرف كيف حـدث ذلك بالضبط، لكني لم أعد أشـعر به منذ ذلـك اليوم. كان نبضاً نزقاً يخفق بشـدة كلـما رأيت امرأة جميلة، إلا أن الطب عزا السـبب وراء ذلك الخفقان الى تهدل الصمام الأكليلي الولادي الذي كنت اعاني منه.

بحثت عنه كثيراً، ولم أجد له أثر في أي مكان. قادتني قدماي الى أحد جراحي القلب، فقال لي:

"تحتاج الى شحنة كبيرة من الخوف لتستعيد نبضك"

هكذ وجدتني أدمن مشـاهدة أفلام الرعب، غير أن شـيئاً لم يرعبني فيها، وعندما عدت لطبيب القلب ثانية سألني:

"هل استعدت نبضك ؟"

"كلا .." أجبته:" انت تعرف أن أحدا لا يمكنه اسـتعادة نبض فقده، لكني عرفت اين هو"

"اين ؟" سألني بنبرة خوف.

"هل سـمعت مـن قبل النبض الـذي يرافق الموسـيقى التصويرية في أفلام الرعب ؟" سألته.

"نعم" أجابني كأنه يتوسل هذه المرة.

"ذلك هو نبضي !"

وقتلته !

PDF Eraser Free

الداروينـي

حـدث ذلك في ظهيرة أحد أيـام آذار الدافئة من عام 1950 في إحدى القرى المجانبة لشط العرب في البصرة.

وَلَـدَت جميلة طفلها الأول والوحيد على سـجادة قـذرة ملطخة بالدم والبول والسـوائل المخاطية ذات الرائحة الكريهة. كان الكيس الأمنيوسي الـذي يُغلّفـه قد انفجر فجـأة، فتدفّق مـاء الرحم دفعة واحـدة من خلال المهبل على شـكل بصقـة هائلة ارتطمت بوجـه القابلة، التـي طلبت أجراً إضافياً مقابل تحمّلها كل تلك القذارات. في حين ما زال الطفل محشوراً في ظلمـة الرحم، ومهدداً بالموت. القابلة المحنكة تعرف شـغلها في مثل هذه الحالات، انتشلته في الوقت المناسب، انتزعته بالقوة كما ينتزع أحدهم كتلة مطاطيـة من إطار سـيارة. تناولت بعدها سـكيناً لا تقل تلوثاً عن سـكين تقطيع السمك التي استعملتها أم غرينوي* لتقطع بها الحبل السري الذي كان يربطه بالمشيمة. ثم رفعته من أخمصي قدميه كما تُرفع الذبيحة، وشرعت تربّت على قفاه، إلى أن تلاشـت زرقته، وأطلق صرخته الأولى، التي تشـبه نعيب غراب صغير يتدرب على إشاعة سوء الطالع وأخبار الخراب.

كان قـد مـضى على اختفـاء منصـور، زوج جميلة سـتة أشـهر. وكانت مظاهـر الحـزن مـا تزال تخيـم على بيتـه الطيني الـذي يقـع في قرية صغيرة وارفة الظلال، اشـبه بغابة من النخيل، تشـقها الأنهر الصغيرة المتفرعة من شط البصرة، وتُكثر فيها أشـجار النبق وزراعة الفاكهة والخضار بأنواعها المختلفـة. وكان صـوت هديل الفواخـت وهي تنعى فراخها على سـعف النخيل في الخارج أشـبه بنواح جميلة التي صارت تأنّ الآن وتهذي وتكيل الشتائم واللعنات للمولود الجديد:

PDF Eraser Free

"أبعدوه !" كانت تصرخ كما لو أن شيطاناً تلبسها. "أبعدوه عني.. لا أريده !"

في تلك الأثناء، كان حامد عم الطفل وشقيق منصور، في قارب الصيد خاصته، يرمي شباكه في مياه شط العرب الراكدة، حين وجد من ينقل اليه خبر ولادة ابن شقيقه. فهُرع هذا على الفور وراح يعدو بين الأحراش مختصراً الطريق إلى البيت. وإلى أن وصل، كانت جميلة ما تزال تأن من أوجاع ما بعد الولادة وتشتم طفلها الرضيع، وتطلب رميه في النهر. كانت تدعوه غراباً وتعتبره السبب وراء اختفاء زوجها. دخل حامد عليها في الحجرة الطينية المسقوفة بجذوع النخيل وحصائر القصب، ارتطمت رائحة النفاس والسوائل الأخرى بخياشمه، كاد أن يغلق أنفه وثمة عطسة توشك أن تنطلق، لكنها تراجعت في اللحظة الأخيرة وبعثت في نفسه شعوراً بالضيق والحنق. وجد هناك أمه، وهي امرأة ممتلئة، ستينية العمر، كانت تحمل حفيدها الذي لُفّ بأقمطته، وتحاول إسكاته بهزه يميناً وشمالاً، إذ ما زال ينعب بالطريقة الغرابية نفسها، حتى بسط عمه يديه كأنه يتضرّع، فناولته إياه وتلقفه هوبرفق مبالغ فيه، كما لو أنه يخشى عليه أن يتهشّم، ولاحظ حينذاك أن له وحمة جلدية سوداء على خده.

"سنأخذه معنا"

قال لأمه العجوز التي هزت رأسها موافقة. التفت بعدها إلى جميلة التي خفّ أنينها. كانت ممددة على فراشها بجوار الجدار، وقد أشاحت بوجهها ما أن اقترب شقيق زوجها منها، لكي لا ترى الغراب الذي يحمله.

"خذوه من هنا فحسب" قالت بنبرة يائسة، باكية، ومتوعِدة:" وإلا قتلته !"

أوشك حامد أن يقول لها أنه طفل بريء، ولا ذنب له بما حصل،

PDF Eraser Free
ومـا مجيئه إلى الحياه في مثل هذا الوقت سـوى صدفة. لكنه عدل عن ذلك أخيراً، إذ بدا واضحا ما تحمله الأم من كراهية وتشاؤم ونحس إزاء ابنها، الـذي هدأ على الفور، كأنه وجد الحنان في حضن عمه بعد أن افتقده لدى أمـه المنكوبة باختفاء زوجها، وكانت قد هـددت بقتله، وربما يحدث ذلك فعلاً، إن لم يكن عمداً فبداعي الإهمال.

حمل حامداً ابن اخيه معه إلى البيت. تتبعه أمه التي كانت تجهش باكية، بينما هي تندب حظ حفيدها السيء وتقول:

"سنحتفظ به إلى أن تعود إلى رشدها"

طلبـت مـن ابنها أن يجلب له مرضعة، وإلا سـيموت من الجوع. فجاء بامـرأة لم يمضِ الكثير من الوقت منذ أن ترمّلت، وما زالت ترضع طفلها الأخير الذي لم يتجاوز عمره ثمانية أشـهر، بدأت برضاعته في اليوم نفسه، مقابـل أجـرة يدفعها حامد مما يحصل عليه من صيد السـمك كل أسـبوع. اسماه" شفيق" بشكل مؤقت، إلى أن تقرر أمه ضمه إليها وتسميته بنفسها. لكنـه أصبـح يحمل هذا الاسـم طوال حياتـه، إذ لم ترغب الأم باسـتعادته حتى ماتت غرقاً بعد ستة أشهر من ولادته.

وهكذا، ترعرع شـفيق وعـاش حياة القرية طيلة ثمانيـة أعوام في كنف جدتـه وعمّـه، الذي انتقـل للعيش في المدينـة بعد ثـورة 14 تموز 1958، حيث عمل هناك في مصلحة الموانئ، وحصل على بيت صغير، ليس بعيداً عـن نادي الميناء الرياضي، سـكن فيه مع عائلته الصغـيرة، أمه وابن أخيه. وفي الوقت الذي كان شـفيق ينمو بشـكل طبيعي، ولا يعاني من المشـاكل الصحيـة، بل على العكس طالما بدا نشـيطاً وحيوياً، ويتمتع بحس رياضي عـال مكّنـه في النهاية مـن أن يكون بطلاً وطنياً في المسـتقبل، كانت الوحمة السـوداء في خده الأيمن تنمو هي الأخرى، ويكون لها في كل حين شـكل

PDF Eraser Free
كأنه يُنتقى من سلة للفاكهة والخضار. فمرة تبدو مثل جزرة، ومرة أخرى مثـل خيـارة، وفي مرة ثالثة عرنـوص ذرى، حتى اسـتقرت في عمر الثانية عـشرة على شـكل مـوزة تُركـت في الثلاجـة فـترة طويلة حتى اسـودّت. وفضـلاً عن ذلك، كان ثمة وبر حيواني غريب ينمو على تلك الوحمة، التي لم يزل شفيق يشعر حيالها بالانزعاج والإحباط، حتى كاد أن يسلخها يوماً من شـدة الهرش. لكنه، ما أن توقفت الوحمة عن النمو والاتسـاع عند هذا الحد، حتى بدأ بالتصالح مع شـكله بوجودها على وجهه مثل رقعة جلدية ألصقها أحدهم عنوة بدل الغمازة في ذقنه.

لقد أمضى منصور، والد شـفيق، السـنوات الأخيرة مـن عمره، مؤمناً بنظريـة التطـور التـي احتفـى بهـا ماركـس حين جـاء أنجلـز إليـه حاملاً الصحيفة التي نشرتها، وصارت فيما بعد الأساس الذي انطلق منه لأثبات نظريتـه الاجتماعيـة والأخـرى الاقتصاديـة. كان أحـد أولئـك المتعلمين اليسـاريين الذين وجهتهم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي إلى استغلال وجودهـم كمعلمين في المـدارس النائية، لتثقيف أهـالي القرى والفلاحين وكسبهم تحت شعار" يا عمال وفلاحي البلاد العربية اتحدوا" الذي خطه" فهـد" بيـده، وتلقينهم أهـداف البروليتاريا العالمية:"**ثماني سـاعات عمل، ثماني سـاعات راحة، ثماني سـاعات ثقافة**" في خصّ يشرف على النهر. كان جريئاً إلى حد التهور وهو يصرح علناً أن أصل الإنسان قرد، ويحدث ذلك أمـام مناوئيه المتدينين في القرية، الذين يقولون بنظرية الانمسـاخ القرآنية، ويمنّون أنفسـهم بيـوم يتحول فيه منصور إلى قرد، الأمـر الذي كان يؤكد الشـيخ حبيـب الله إمام الجامع في القرية على حدوثـه عاجلاً أم آجلاً، كلما اعتلي المنبر عقب صلاة الجمعة، مردداً بغضب ونبرة تهديد ووعيد:

"ذلك الداروينى الكافر، سيُمسخ إلى قرد يوماً، ليرى ذلك بنفسه !"

PDF Eraser Free

إلا أن وعـظ وترهيـب الشـيخ حبيب الله لم يحرك في منصور شيئاً، كما لم تغـيّر تهديدات بعض المتشـددين له بالقتل من قناعته بهذا الشـأن. فمنذ أن قـرأ كتـاب داروين أصل الأنـواع وهو يشـيع في كل مـكان يكون فيه النظريـة القائلة بأن أصل الإنسـان قـرد. كان يثير حنق حتـى زوجته التي هددت بهجره إن لم يكف عن التعاطي بهذه الفكرة. لكنها سرعان ما تعود إلى أحضانـه، غير مبالية بما آلت إليه سـمعته بسـبب اعتناقـه تلك النظرية وسـخرية الناس منـه وتكفيرهم له، فقـد كانت تحبه، وعاشـت معه قصة حب ما زالت النساء في القرية يتحدثن بها.

كانت تمازحه في الفراش قائلة:

"كنت سأحبك حتى لو كنت قرداً !"

فيجيبها هو بقوله:

"أنتِ أجمل قردة في العالم !"

كانت حاملاً في الشـهر الثالث حين توحّمت. اشـتهت مـوزاً، في وقت لم تكـن هذه الثمـرة، التي كانـت تُزرع في البـصرة حينـذاك، متوفرة بعد. وعـلى الرغـم من ذلك، قـرر منصـور المجازفة بالتسـلل إلى أحد بسـاتين الإقطاعيـين، أملاً بالعثور على موزة واحدة على الأقل، في إحدى نخلات المـوز القليلـة هناك. لكن، كان عليه أن يجتاز عدداً من بسـاتين النبق أولاً، ليصل إلى مبتغاه.

لم تطمئن جميلة، وشـعرت بالندم لأنها أخبرته بتشهيها الموز، خصوصاً أنهـا تعـرف إلى أي حدٍ هو عنيـد زوجها، ولن يتراجع عـن قراراته، حتى وإن جـاءت تلبيـة لرغبات لا يؤمـن بمدى تأثيرها في حـال أنها لن تُحقق، كخشـية امرأة من أن يخرج طفلها إلى الحياة بوحمة معيبة على شـكل الشيء

PDF Eraser Free
الذي اشـتهت أكله. ثمة إحسـاس بالقلـق والخوف والحزن بـدأ يراودها منـذ اللحظـة الأولى التي غادر فيهـا زوجها البيت، بحثاً عـن موزة. وكما لـو أنها تعلم أنه لـن يعود أبداً، بكت جميلة قبـل مغادرته، بينما هي تضغط وجهـه بين يديهـا، وتركز نظرها على عينيه. وفعـلاً، لم يعد منصور في تلك الليلـة، ولا في اليـوم الذي تلاهـا، ولا في الأيام اللاحقـة. اختفى في أحد بسـاتين النبق المنتشرة على الضفة اليمنى لشط العرب، حيث تمر من هناك بواخر الشـحن المحملة بالبضائع، وهي في طريقها إلى ميناء المعقل. لم يعد إلى البيـت، كـما أن أحداً لم يره وهو يغادر البسـتان. بعـض الاهالي تكهنوا بغرقـه، ورجحوا ذلك على احتمال موته بلدغـة أفعى أو عقرب أو آفة من تلـك الآفات التي يقال أنها تخـرج من تحت الأرض وتختطف الرجال، إلا أن أحـداً منهم لم يكلف نفسـه عناء البحث عنه، ما دام أنه نسـب أصولهم إلى الحيوانات وقال أنهم قرود، باسـتثناء ذويه وبعض أقاربه الذين شرعوا بالبحـث في الأنهار والبسـاتين الكثيفـة والقرى المجـاورة، لعلهم يعثرون عـلى أثر لـه، قبل أن يصيبهم اليـأس ويبلغوا الشرطة عـن فقدانه. عندئذ، وحـين لم تعثر الشرطـة هي الأخرى على دليل يقودهـم إلى مصير الرجل، لم يتبق سـوى احتمال غرقه في الشـط، رغم أن الجميع يشـهدون بأنه سبّاح ماهـر، ففي هـذه النواحي ثمة ميزتـان لا بد أن يحوز عليهـما جميع الذكور من سـكان القـرى المتاخمة للشـط، ألا وهما العـوم والصعـود النخل. ولم تكـن مهـارة منصور في الثانية أقل من الأولى. وتبقى هناك أسـباب أخرى تسـاعد على غرق حتى أولئـك الذين يجيدون العوم، لعل أكثرها شـيوعاً هي إصابة الشـخص بتشـنج عضـلي في إحدى قدميه، يعيقـه عن الحركة، بينـما هو يعوم في المياه العميقة. كما إن بإمكان أفعى، أو سـلحفاة عملاقة، أو قـرش جائع تسـلل عبر مصب الشـط في الخليج بحثاً عـن البرودة، أن يقضـم قدم الشـخص العائم ويؤدي بـه إلى الغرق. لكن شـيئاً لم يظهر في

PDF Eraser Free

تلـك الأثناء ليدل على أن منصور لقى حتفه بتلك الطريقة. أما عن احتمال اختطافه من قبل جنية تسـكن الشـط، أو حورية ماء، فمثل هذه الأساطير الصغيرة لا يتحدث بها سـوى الجدات العجائز اللائي ينسجنها لتخويف الصغار في الليالي الباردة.

لم تحتمل جميلة صدمة اختفاء زوجها.

كان الاختفـاء، بالنسـبة لها، أشـد وطأة وألماً من المـوت، على الرغم مما قـد يتركه البعض وراءهم من أمـل بالعثور عليهم يوماً مـا. كانت تتخيل الجانب المظلم دائماً، الجانب السـوداوي الذي أسوأ ما فيه هو عملية تحول الأمل، من أمل في العثور على المختفي، إلى أمل العثور على جثته. وحين لا يكون هناك جثة، يبدأ البحث عن اسم، اسم فحسب في لوائح المفقودين. وحـين لا يكون بالإمكان العثور على اسـم، يحق للمـرء، حينئذ، أن يأكل أصابعه ندماً وحسرة على عمر أمضاه في انتظار شـبح، غودو غير موجود، لا شيء، ومحـض هبـاء. لهذا، عمدت جميلة إلى التخلص من الطفل، كما لو أنها تفعل ذلك لتشـفي غليلها وتعاقبـه علة اختفاء والده. كرهته، حقدت عليه، اعتبرته سوء الطالع ونذير الشؤم الذي لا تأمل معه عودة زوجها.

في أحـد الأيـام، ألقـت جميلة نفسـها مـن علـوٍّ حتـى كادت أن تُكسر ساقها. وفي يوم آخر، ابتلعت عدداً كبيراً من الأقراص، ثم شربت سوائل تحـرق الأمعاء وتثير الغثيان طيلة الوقت. فعلت كل ما بوسـعها في سـبيل إجهاضـه، لكنهـا لم تسـتطع، كما لو أنه رُبط في أحشـائها بحبال. شـعرت باليأس وكفت عن محاولاتها بعد شـهرين. قررت أن تلده، لترميه فيما بعد في النهر، أو في بئر، أو أمام الجامع. ولو اضطرت فستقذفه في أقرب مكب للنفايات طعماً للكلاب السـائبة. كانت ستفعل ذلك في النهاية، لكن عمه حامد كان هناك في ذلك اليوم، فانتشله في الوقت المناسب.

PDF Eraser Free

في اليوم الثالث لولادته، أي بعد ستة أشهر من اختفاء والده، وأثناء موسم الحصاد السنوي، بدأ المزارعون يلاحظون النقص الحاصل في محصول النبق. وبمرور الوقت، كان هناك الكثير من الأشجار التي عُبث بها وكُسرت أغصانها وهُزّت بقوة لتُنفض من أحمالها. أطنان من النبق غطت الأرض، وسُحقت، وتُركت لتجف وتفسد أو يأكلها الدود. اغتاظ المزارعون. لم يشكوا أن ثمة من تعمد فعل ذلك، ليضعهم في موقف لن يجدوا ما يدفعون به عنهم تهمة التخريب والإهمال التي سيلصقها بهم ملاك الأراضي الإقطاعيون. في البداية، ارتابوا بشأن الخلية الشيوعية التي شكلها منصور وكانت تجتمع سراً في أحد البساتين الخربة. خصوصاً وأنهم علموا بكراهيتهم للإقطاعيين، ووصل إلى أسماعهم بعض ما كانوا يرددونه من مصطلحات غريبة مثل البرجوازية، البروليتاريا، الاشتراكية، الرأسمالية، الداروينية. لكنهم عادوا لينفوا التهمة عنهم بما أن أولاد البعض منهم ينتمون إلى هذه الخلية، ولن يعمدوا بالتالي إلى إيذاء آبائهم المزارعين، لعلمهم بالعواقب التي ستثقل كاهل ذويهم جراء ذلك الفعل.

في النهاية، عزم المزارعون أمرهم على اكتشاف الفاعل والإمساك به وكف أذاه عنهم. شرعوا يجوبون البساتين نهاراً بعصيهم ومناجلهم، وفي الليل ينتخبون مجموعة منهم للحراسة، إلى أن وقعوا، في إحدى الليالي المقمرة، على العلّة التي أرّقتهم طوال الفترة الماضية، واكتشفوا أن ثمة قرد وراء كل هذا العبث.

قرد كبير، مشاكس وقوي، رأوه وهو يقفز من شجرة إلى أخرى، ويتعلق بأغصانها، ويهاجم بعضهم بنوى النبق الذي يسطو عليه كل يوم. أحال هذا المشهد البعض ممن وقف بالضد من نظرية التطور وتوقع لمنصور مصيراً سيئاً، خصوصاً الشيخ حبيب الله، إلى نظرية المسخ القرآنية. فتسلق الشيخ درجات المنبر، وكان يوم جمعة، وأشاع بنبرة التشفي والشماتة

PDF Eraser Free

الشديدتين خبر تحوّل منصور الشيوعي الدراويني الكافر إلى قرد. لم يدخر جهده بعدها في التحريض على قتل القرد العابث، المجنون. وكان سيفعل ذلك بعض المتشددين من مريديه، لكن قبيلة منصور وقفت حائلاً دون إتمام الأمر، واقترحوا القبض عليه وسجنه فحسب. إلا أن أياً من محاولات المزارعين من أجل الإمساك به لم تنجح. الملعون، كان ماهراً في فن الغش والاختباء والمراوغة وقذف نوى النبق، إلى الحد الذي يبدو كأنه يقذفها من بندقية، وليس من فمه. وكان نشاطه قد ازداد بمرور الوقت بشكل نغّص على المزارعين عيشهم وزاد من خسائر مُلّاك الأرض. فبعد أن جرّد أشجار السدر من ثمارها، انتقل إلى النخل وراح ينتزع طلعه. لم يبق حبة طلع في نخلة على مدى أيام. صارت الأرض مغطاة بغبار الطلع الأبيض هذه المرة. حينئذ، قرر الشيخ حبيب الله اغتياله سراً، بواسطة بندقية حصل عليها قبل ستة وثلاثين عاماً، من مجند تركي هارب من معارك العثمانيين مع الانكليز مقابل إيوائه. وكلّف أحد مريديه ممن يجيدون القنص لهذه المهمة.

لكن، حدث أمراً لم يكن في حسبان الشيخ حبيب الله في حينها، إذ فوجئ الجميع، في اليوم نفسه الذي تقرر فيه اغتيال القرد، بربانين هنديين يبحثان في الجوار عن قرد كان قد هرب من الباخرة التي يعملان فيها، أثناء توقفها أمام الضفة المحاذية للقرية. وكان بصحبتهما قردة تُدعى لوسي، قالا إنها زوجته، وقد جلباها معهما على أمل إقناعه بالعودة إلى الباخرة. اغتاظ الشيخ حبيب الله، وكان سيصرفهما ويمضي في خطة الاغتيال، إلا أن بعض المزارعين سبقوه وأخبروا الربانين عن مكان القرد، فتوغل هذان داخل البساتين بحثاً عنه، ترافقهما القردة لوسي التي حملت معها بعض الموز لزوجها، وقد صمّت آذان القرويين بكثرة زقحها، حتى بدت كأنها امرأة متلهفة للقاء قرينها بعد طول غياب. بعض النسوة هرعن

PDF Eraser Free
إلى جميلـة وهمسـن في أذنها عـما يجري هُنـاك. وكما لو كانـت لوسي صرتها حقاً، استشـاطت المرأة غضباً وشـقت ثيابها ولطمت، ثم نهضت وراحت تجري حافية صوب البسـاتين وهي تصرخ وتولول. في وقت كانت لوسي قد أتمت مهمتها على أتم وجه، واسـتطاعت أن تجذب القرد الهارب إليها، فأمسك به الهنديان وقيّداه وحملاه إلى الباخرة على متن قارب، ليتم إيصاله فيما بعد إلى المدينة، حيث يعتزم أحد الأثرياء إنشاء حديقة للحيوانات.

مـن جانـب آخـر، انتكـس القائلـون بفرضيـة الانمسـاخ، وتجهمـت وجوههـم، بعد أن أوشـكوا على تصديـق أن منصور تحـوّل إلى قرد فعلاً. منصور الذي لم يظهر له أثر في أي مكان. فربما غرق حقاً، أو تم تصفيته من قبل بعض الاقطاعيين أو المتشددين الذين سبق وأن هددوه، أو أنه افتُرس مـن قبل حيوان متوحش، وهي إحدى الفرضيات التي فنّدها عدم وجود عظام أو بقايا من جثّته.

مضـت الأيـام، وكاد الأهالي أن يتناسـوا أمره لولا أن أحـد المزارعين أعاد اللغط بشـأنه في الموسـم التالي، عندما ادعـى تعرضه إلى هجوم بنوى النبق في أحد البساتين.

كان شـفيق، في تلـك الأثنـاء، قـد بلـغ اسـبوعه الثـاني، وأصبـح يتيم الأبويـن، فقد غرقت أمه في مياه الشـط، عندما حاولـت اللحاق بالقارب الذي حمل القرد وزوجته لوسي إلى الباخرة. وبهذا، تحتم على حامد الاعتناء بابن اخيه بشـكل دائم، بعد أن تنازلت عائلـة منصور عن حضانته، الأمر الذي لم يكن بمقدوره التخلي عنه. ومنذ ذلك الحين وشـفيق يحظى برعاية عمّـه الأعزب وجدتـه لأبيه. لم يكن مـن الصعب عليهما توفير معيشـة لا بـأس بها لطفل صغير ويتيـم. كانا يحيطانه بكل وسـائل الدعم، ويغمرانه بالحـب، ويعطفان عليه طيلة الوقت، ويحـاولان إبعاده عن صورة الماضي

PDF Eraser Free

المؤلم، الذي لا يريد أن ينساه الآخرون، إذ لم يكد شفيق يبلغ الرابعة من عمره، حتى صار الأطفال في الشارع ينعتونه ابن القرد. لم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل تطور إلى درجة صارت تشكل خطراً عليه، عندما كوّن مجموعة من الأولاد المتنمرين، بعد سنوات، حلقة دأبت على إيذائه منذ أن دخل إلى المدرسة. صار يقاسي تبعات إيمان والده بالداروينية. فعلى الرغم من دحض قصة تحول هذا الأب إلى قرد، عندما اتضح أن القرد الذي خرّب بساتين النبق، ليس هو نفسه منصور المختفي، إلا أن هناك من لا زال ينادي شفيق بالقرد أحياناً وابن القرد في أحيان أخرى. مما دفع العم حامد إلى الهجرة صوب المدينة، ليجنّبه مرارة العيش في قرية ما زال أغلب سكانها يصدقون أن أباه مُسخ إلى قرد.

لقد وجد شفيق الصغير في حياة المدينة فضاء ومنطلقاً لتحقيق أحلامه الرياضية، التي تكوّنت في وقت مبكر، مستغلاً سكنه في منطقة تضم أحد أعرق الأندية الرياضية في العراق. بدأ بكرة القدم حين كان في العاشرة، ثم انتقل بعدها إلى رياضة الجري، ومنها إلى كرة السلّة قبل أن ينتهي به المطاف إلى مصارع في الفريق الوطني لأكثر من عشرة أعوام، نال خلالها الكثير من الأوسمة والألقاب، وأكمل تعليمه حتى تخرج في كلية التربية الرياضية، التحق بعد ذلك بألعاب الجيش أثناء خدمته العسكرية. ثم استُدعي مرة أخرى لأداء خدمة الاحتياط في الجيش مع اندلاع الحرب العراقية الإيرانية. وإلى أن انتهت الحرب في عام 1988 كان عمر شفيق ثمانية وثلاثين عاماً، متزوجاً ولديه ثلاثة أبناء، ويعيش في البيت نفسه، الذي تركه العم حامد له وعاد إلى القرية بعد تقاعده ووفاة أمه، ليعيش فيها أيامه الأخيرة.

بعد الحرب، عاد شفيق إلى الرياضة، وعمل مدرباً لأحد فرق المصارعة في المدينة لفترة قصيرة، قبل أن تسنح له فرصة للعمل في محطة الإذاعة

PDF Eraser Free
المحلية كمعلق رياضي ثم مقدماً لبرنامج اللياقة البدنية الذي يبث صباحاً. وهو آخر عمل زاوله قبل ضياعه في سجون السلطة.

كان حتى ذلك الحين، يملك جسماً رشيقاً وعقلاً متوقداً. كان نشيطاً، ممتلئاً بالحياة ومقبلاً عليها. يعشق الدعابة، ويستيقظ مع أول صيحة يطلقها ديكه الأحمر، الذي جلبه خصيصاً ليوقظه في تلك الساعات المبكرة، ليبدأ بعدها ممارسة رياضته الصباحية، العدو، رفع الأثقال، وبعض الحركات الأكروباتية. يحلق ذقنه، يستحم، ويتناول فطوره، بيضة نيئة، قطعة خبز أسمر، وكوباً من حليب الجاموس الطازج الذي يشتريه من بائعات الأجبان في السوق. يرتدي ثيابه الرياضية ويذهب راجلاً إلى مبنى الإذاعة، ليسجل حلقة جديدة من برنامجه الأسبوعي الذي يعنى بالرشاقة وبناء أجسام سليمة، فضلاً عن تقديم النصائح بشأن الغذاء الصحي للمستمعين، وشرح الطرائق المناسبة للتخلص من الوزن الزائد. كان يخصص نصف الوقت من كل حلقة لذكر الفوائد الصحية للأغذية، ثمرة معينة أو نوعاً من الخضار أو المكسرات، ولا يكتفي بذلك، إنما يحمل معه كيساً مليئاً بذلك النوع من الغذاء، ويقوم بتوزيعه على زملاءه في الإذاعة، ويروي أمام الميكرفون، بعض النوادر الغذائية التي لا تخلو من الطرافة، والتهكم أحياناً. فبعد أن يشرح لمستمعيه فوائد الجزر مثلاً يربط حديثه بالأرانب، ويروي حكايات مسلية عن علاقة الجوز بالسناجب، والدببة بالعسل.

في أحد الأيام، توحمت زوجته واشتهت موزاً. كانت حاملاً بطفلها الرابع.

هرش شفيق الوحمة في خده كردة فعلا لا إرادية فور سماعه تلك الزوجة، وهي تشكو من الغثيان وتطلب موزاً. لقد مضت فترة طويلة

PDF Eraser Free

مـن دون أن تمتد يده إليها، حتى أنه ينسـى في بعـض الأحيان أن ثمة وحمة بهيئة موزة في وجهه. لكنه ما أن سمع زوجته وهي تلح بأن يجلب لها موزاً، حتـى راح يهرش خده، فبدا في حينها كما لو أنه مصاب بالجرب. مضى من عمـره ثمانية وثلاثين عاماً، لم يـأكل خلالها ولا حتى قشراً من هذه الفاكهة التي يندر وجودها في الأسـواق، منذ بداية الثمانينيات، ولأسباب غامضة لا تعلمهـا سـوى الحكومـة. فكـر بتجاهل طلـب الزوجة المتوحمـة، التي ازدادت لجاجتها على نحو ظن معه أنها ستموت إن لم تأكل موزاً. تذكر أن وحمة ظهرت في خده لأن أمه لم تأكل موزاً، فعدل عن فكرته وقرر الخروج ليبحث عن موز. وبينما هو في طريقه إلى السوق، فكر بجدوى أن يخصص الحلقـة القادمة من برنامجه للموز، ويبين فوائده وأهميته. وقرر أن يشـتري كيلو غرام إضافي، ليوزعه على زملاءه في الإذاعة، كما اعتاد أن يفعل في كل مرة. لكنه لم يجد في السوق ولا حتى رائحة موز. بحث في كل مكان، وراح يتنقل بين الأسواق، ويسأل الباعة، لكن دون جدوى. شعر بالغضب:

"لا يعقل أن تخلو البصرة من الموز يا إلهي !"

فكـر بطفلـه القادم، وكيف سـيخرج إلى الحياة بوحمة على شـكل موزة ملتصقة في خده، أو جبينه، وربما رقبته. تخيله محاطاً بمجموعة من الأولاد الوقحين، يسألونه السؤال نفسه الذي كان يُطرح عليه وهو صغير، عما إذا كانت تلك الوحمة موزة حقاً، أم عضواً تناسلياً اشتهته أمه حينما كان جنيناً في بطنها. لم يحتمل المشهد، فعاد إلى البيت حاملاً معه كيساً مليئاً بالبرتقال، لكن زوجته رفضت أن تأكل إلا موزاً، وطفقت تبكي بدلال زائف:

"أريد موزاً !"

كانـت تعبث بسـحاب قميصه الرياضي، وتزم شـفتيها، وتحرك كتفيها نحو الأعلى والأسفل، على نحو ما يفعل الأطفال:

PDF Eraser Free

"اشتهي موزاً، الآن !"

بينما كان هو يفكر بالحلقة الجديدة من برنامجه.

في اليـوم التـالي، ذهب شـفيق إلى الإذاعة، ولاحـظ في طريقه إلى هناك قافلـة طويلة من الشـاحنات العسـكرية، تحمل دبابات يبـدو أنها وصلت مؤخراً من الاتحاد السـوفيتي. امتقـع وجهه بينما هو يحصي تلك الدبابات، ويتساءل عن سعر الواحدة منها. كانت تمر من أمامه في طريقها إلى الحدود مـع الكويت، لتُدمـر بعد عامين وتحولهـا الطائرات الامريكيـة إلى خردة. ابتأس كثيراً. غادرت البشاشـة وجهه، لتحل مكانها ملامح الاسـتياء، مما لفـت انتباه زملائه، الذيـن لاحظوا أنه جاء هذه المـرة بيدين فارغتين، فلا جوز ولا جزر ولا عسـل ولا حتى موز. اسـتغربوا حين سـألهم عن سعر الدبابة التي تستوردها الحكومة من الاتحاد السوفيتي. قال أحدهم:

"أظن أن سعرها أربعة ملايين دولار !"

أجفـل شـفيق فـوراً وأرعبه الرقـم. راح يعـد بأصابعـه وكاد أن يتفوه بحماقـة، لـولا أن أحد الزملاء غمزه في تلك اللحظة، في إشـارة إلى وجود من يتجسـس لصالح الحكومة بـين العاملين. دخل بعدها إلى الاسـتوديو وجلـس في مكانـه أمام الميكرفـون. أومأ له المخرج بإشـارة البداية، فشرع يحيي مستمعيه بخمول على غير عادته، مبتدئاً حديثه عن فوائد الموز:

"يجب على كل مواطن أن يأكل موزة واحدة في اليوم على الأقل !"

ثـم شرع، كعادتـه بروايـة بعـض الدعابـات التي لها علاقـة بموضوع الحلقة:

"هـل تعلمون يـا أعزائي أن المـوز كان يُزرع في البـصرة ؟ القردة تحب الموز، وتأكله أكثر منا ؟ وبمناسبة الحديث عن القرود، يقول ديكارت أنها

PDF Eraser Free

كانـت تتكلـم، لكنها صمتت لكـي لا تضطر إلى العمل هاهـا ! تصوروا معـي قـرداً يتكلم إلى مزارع في إحدى جزر الأكـوادور قائلا له بتودد: من فضلـك أيها المزارع الطيـب، هلا أعطيتني موزة. زوجتـي تتوحم بموزة، إذا لم تأكلها سـتنمو وحمة في مؤخرة طفلي، وأنت تعرف كم سـيكون ذلك معيبـاً، أليس كذلك أيها المزارع الطيـب ؟ اقطف واحدة وارميها لي، نعم، هاتها، هكذا، الآن ! وفضلاً عن ذلك هناك اسـطورة صغيرة سـمعتها من جدتي في صغري، عندما سـألتها عن السـبب وراء اعوجاج الموز، فقالت أن الموز يأتي مسـتقيماً، مثله مثل الجـزر والخيار، إلا أن ثمة قرود تقوم بثنيه في الميناء، فيصل إلينا بهذه الصورة، معوجاً !"

ازداد تهكمـه في الدقيقة الأخيرة من عمـر البرنامج الذي ختمه بكلام كان بمثابة الحبل الذي لفّه حول رقبته بيديه:

"أكثـر من مائة مليار موزة تؤكل في العالم سـنوياً، نصيـب القرود منها الثلـث ! وحكومتنا تشـتري الدبابة الواحدة من الاتحاد السـوفيتي بأربعة ملايين دولار ! في الوقت الذي تخلو أسواقنا من الموز !"

لم يعـد شـفيق إلى بيته في ذلـك اليوم، فقـد اعتُقلته قوة مـن الأمن بعد أقل من سـاعة كانت قد مضت على انتهاء البرنامج. قيّدوه، عصبوا عينيه، واقتـادوه في سـيارة مظللـة الى مديرية الاسـتخبارات. جردوه مـن ثيابه، ووضعوه في زنزانة انفرادية، ومنعوا زوجته من زيارته، ومنعوا عنه الطعام حتى كاد أن يهلك من الجوع، ثم بدأوا بإطعامه تدريجياً.

كان طعامه في الأسبوع الأول عبارة عن موزة وقدح ماء، وفي الأسبوع الثاني موزتان ونصف قدح ماء، وفي الأسـبوع الثالث ثلاث موزات وربع قـدح ماء، وبـدءاً من الأسـبوع الرابع صار غذاءه في الحبـس مقتصراً على الموز فقط، مع قدح ماء واحد في كل يوم. كان هناك الكثير من الموز الذي

PDF Eraser Free
تمنى أن يرسل لزوجته إصبع منه، لكي يتفادى بذلك إمكانية أن يولد طفله بوحمة على هيأة موزة في خده. وكانت بوادر المرض قد بدأت بالظهور منذ الأسبوع الأول، عندما راح يعاني من الأرق والإسهال الشديد، ثم الصداع النصفي وتلف الأعصاب. تسوست أسنانه، وازداد وزنه على نحو خطير، قبل أن يصاب بالسكري ويشرف على الموت.

وبينما هو يحتضر في زنزانته المنفردة، ويُتوقع أن يلفظ أنفاسه الأخيرة في أقرب وقت، بدأت الوحمة بالتوسع، لكن ببطء. غطت في البداية نصف وجهه الأيمن، حيث تقع، ثم انتقلت إلى النصف الآخر، قبل أن تغطي وجهه بالكامل وتزحف إلى رأسه. كانت بشرته تتغير كلما اتسعت الوحمة التي اكتسحته تماماً. أصبحت أكثر خشونة، بوبرٍ طويل داكن اللون انتشر في أنحاء جسده، باستثناء مؤخرته ووجهه الذي مال لونه إلى الوردي. تغيرت ملامحه على نحو لافت. تقوقع جسمه بطريقة مخيفة. طالت يداه وقصُرت قدماه. الإصبعان الكبيران في كلتي قدميه صارا يشبهان كثيراً إبهامي اليدين، مما مكنه من مسك الأشياء بقدميه. تفلطحت أظفاره. نسي الكلام وراح يصدر أصواتاً أشبه بالقهقهة. برز خطمه إلى الأمام، وأصبح لديه شفتان رفيعتان، وفك عريض، وقواطع طويلة، أنف صغير، عينان عميقتان، وأذنان كبيرتان مدورتان، في حين كان هناك نتوء صغير ما زال ينمو أعلى مؤخرته تحوّل في النهاية إلى ذيل.

كان الجلادون يراقبون مراحل التطور هذه بذهول. أرعبهم تحوّل الرجل التدريجي إلى وحمة هائلة بهيئة شمبانزي تلطّخ وجه الإنسانية.

PDF Eraser Free

الفهرس

حروب 9
الطيران 11
المملحة 14
دورة الألعاب البذيئة 17
وطن 19
الفزاعة 22
طعم الموت 23
إرث 26
مقبرة 29
الضفدع 30
حب 33
رائحة القميص 35
ابتسامات 37
رسائل 40
عصافير سلمى 42
الجعل 44
حجر 50
فيروز 51
أمهات 53
الصورة 55
أفلام 58
سخام 60
الكون 61
يونس 62
الشريط 63

PDF Eraser Free

وشم 64
نساء 65
رائحة الكف 67
قمرهن 69
عطر زهرة الكرز 71
سُـرّاق الكحل 73
الـوردة 74
امرأة المناديـل 75
ملوحة 77
فتاة الليل 78
موعـد 80
حنطة الوجـه 82
أغنيـة 83
جميلة بوحيرد 84
الغراب 85
المرأة 87
قلب المرأة 88
نزهـة 91
أطفال 93
جزر القمـر 95
الشبح 97
جالب الكرات 100
الحذاء 103
مكسيكو 86 106
متلازمة 108
الغمـازة 110
من دون كلام 112
هوري إلى كارين ارشـبوير **114**

PDF Eraser Free

شعراء 117

لحية والت ويتمان 119

شباك وفيقة 121

التمساح 122

تخاطر 123

مقبرة الانكليز 124

شاعر 125

أميرة الألوان 126

متفرقة **127**

رأس الثور 129

المسماري 132

أحجار الموت 134

الساعاتي 135

الشمّاعة 136

موت المؤلف 137

مغتربون 138

حارس أحلام النساء 139

المحاة 104

خيانة المترجم 141

شجرة الكاليبتوس 142

خيانة 143

أغنية لجيفارا 145

الشطحة المميتة 146

اللاعق 149

المقايضة 150

الزاحف 151

حرّ 153

مائة ليلى وذئب واحد 155

موسيقى تصويرية 157

الداروينـي 158